بيان الحزب الشيوعي الأممي

من أزمة الرأسمالية الى الثورة الشيوعية العالمية

DE LA CRISE CAPITALISTE A LA REVOLUTION COMMUNISTE INTERNATIONALE

صحافة الحزب الشيوعي الاممي

المجلات النظرية

Programme Communiste	باللغة الفرنسية
Communist Program	باللغة الانكليزية
Kommunistisches Programm	باللغة الالمانية
El Programa Comunista	باللغة الاسبانية
Kommounistiko Programma	باللغة اليونانية
البرنامج الشيوعي	باللغة العربية

جرائد ونشرات البلدان

الجرائد

IL Programma Comunista	ايطاليا
le Prolétaire	فرنسا
EL Comunista	اسبانيا
Proletairer	المانيا
EL - Oumami - الاممي	الجزائر

ملاحق دورية

le Prolétaire	سويسرا
le Prolétaire - De Prolatarier	بلجيكا والبلدان المنخفضة

النشرات الدورية

EL Proletairo	اميركا اللاتينية
Proletario	البرازيل
Enternasyonalit Proleter	تركيا
الشيوعي	المغرب العربي

الثمن $ 1.5

بيان الحزب الشيوعي الأممي

من أزمة الرأسمالية الى الثورة الشيوعية العالمية

بيان الحزب الشيوعي الأممي

من أزمة الرأسماليه الى الثوره الشيوعيه العالميه

DE LA CRISE CAPITALISTE A LA REVOLUTION INTERNATIONALE

دار
البرنامج الشيوعي

١٩٩٢
شباط - فبراير

مقدمة

صفحة من تاريخ القرن العشرين تنطوي . ولم تنفذ بعد جميع الذرائع الممكنة ، منذ الحرب العالمية الثانية ، لثني الطبقة العاملة عن اهدافها الثورية .

فمن قائل في بلدان الغرب النامية واليابان ، إنَّ تقدّم الديمقراطية والإصلاحات هو الذي يتكفل تدريجياً بالقضاء على البؤس والقهر .

إلى قائل في بلدان الشرق ، إن إتساع رقعة « الإشتراكية الحقيقية » هو الذي سيتكفل بالأمر .

إلى زاعم في بلدان آسيا وإفريقيا وحتى في بلدان اميركا اللاتينية ، أن التحرر القومي من ربقة الإمبريالية هو الذي سيحقق آلياً ذلك الأمل المنشود .

لكن أيامنا هذه تشهد على أن انظمة جميع هذه البلدان تتكشف على حقيقتها يوماً بعد يوم : فديموقراطيات الغرب الإمبريالية ليست سوى وريثة حقيقية للفاشية ، « واشتراكيات » ، الشرق ما هي الا دول برجوازية فجة تتفانى هي الأخرى حرصاً على نمط الإنتاج الرأسمالي ، إنها الشقيقة التوأم للدول الغربية ، أما الدول الوطنية الفتية في العالم الثالث فدكتاتوريات برجوازية وطنية تسير بخطى حثيثة في أعقاب

اخواتها الكبرى وتنسج على منوالها .

ومنذ أن جف جدول الرخاء وأخذت الأزمات تعقب الأزمات لم يعد هناك تحت رفرفة مختلف الرايات القومية الا ذلك الكلام الرتيب الذي يتوجه به أصحابه الى جميع العمال في العالم : « تقشفوا ، مزيداً من التقشف والتضحيات في سبيل الإقتصاد القومي » !

وها هم الناطقون باسم الامبريالية العالمية يعترفون من عقر دارهم في « وول ستريت » ان العالم قد اصبح على اعقاب مرحلة جديدة من الاضطراب المتزايد ومن استفحال جميع التناقضات الاجتماعية ؟

وها هو الخطر المتعاظم لحرب امبريالية جديدة ترتسم اشباحه وراء النزاعات العسكرية المحلية ، موجهة، الدعوات من جديد الى جميع العمال في العالم ليأخذ بعضهم بخناق بعض ويقتتلوا من اجل برجوازياتهم .

في نهاية هذه المرحلة الجديدة التي بدأت والتي قد تمتد بدورها على عشرات السنين ، هل سيكون للرأسمالية ان تخرج سليمة معافاة من خضم الحروب والثورات التي عليها ان تخوضها وأن تطبق عندئذ قبضتها الحديدية على العالم الذي دمرته ، من أجل فترة جديدة من التوسع وعبودية متزايدة البأس والسطوة ؟

أم أن الطبقة العاملة ستقف اخيراً على رجليها ، بعد ما يربوا على الخمسين عاماً من الثورة الإمبريالية المضادة والستالينية . ومن ثم السبات ، الذي ترعاه سموم الإصلاحية والديموقراطية ، معزَّزةً بجحافل الشبان والمتحمسين من بروليتاريا البلدان الرأسمالية الناشئة ، فتكون

قادرة على توجيه ضربة مميتة للرأسمالية ، تشرع بعدها في تحويل المجتمع تحويلاً شيوعياً ؟

أن الظروف التاريخية تهيب بالشيوعيين الحقيقيين أن يوضّحوا من جديد وعلى رؤوس الأشهاد مفاهيمهم واهدافهم ومبادئهم التي طالما زورِّت وحُرِّفت عن طبيعتها .

تهيب بهم أن يعرضوا الدروس التي استمدوها من المسيرة المأساوية التي سارها التاريخ وأن يؤكدوا من جديد برنامجهم الذي يشير إلى المخرج الثوري من هذا الجحيم الرأسمالي .

القسم الأول

عودة الى شيوعية
ماركس ولينين الثورية

أولاً ـ الرأسمالية تستوجب الثورة الشيوعية

بعد انتهاء المجزرة الامبريالية الثانية ، وبعد ان استتب للبرجوازية نظامها الإمبريالي العالمي الجديد على أنقاض اوروبا والشرق الأقصى ، اعلنت هذه البرجوازية ، بالتعاون مع خدمها وحشمها من قادة الأحزاب المسماة زورا وبهتاناً بالاحزاب العمالية ، أي احزاب « الاشتراكية الديموقراطية » و « الوطنية الشيوعية » ، إن الرأسمالية قابلة للاصلاح ، وأن تناقضاتها الإجتماعية ممكنة التذليل . فكانت البرجوازية باعلانها هذا تأخذ عهداً على نفسها ، بكل بساطة ، بأن تكافح الثورة الشيوعية عن طريق جعلها أمراً لا طائل تحته .

١ ـ الإمبريالية تستعد للحرب من جديد :

كان من المقدر، حسب زعم البعض أن يصار الى تخطي الفوضى الرأسمالية والأزمات عن طريق تدخل الدولة في الإقتصاد . إن هذه الوصفة التي استنبطتها الإشتراكية الديمقراطية العجوزة في سبيل تجاوز الرأسمالية ، كانت أيضاً من بين الأمور التي نادت بها الستالينية وبشرت ، فالستالينية عندما نظرّت لواقع بلدان الشرق الأوروبي توصلت بالفعل الى القول بأن الشيوعية لم تعد تقضي الغاء الأجر والغاء

السوق ، كما اكد ماركس ولينين باستمرار ، بل أنها من الممكن أن تتعايش معها . ويكفي فقط أن تضطلع الدولة بالاشراف القانوني على المؤسسات وأن تضع تخطيطاً مركزياً الى هذا الحد أو ذاك ، لكي يتم الانتقال الى الاشتراكية . لكن الذي يتبين يوماً بعد يوم هو أن دعاة الإشتراكية الروسية والصينية اصبحوا مضطرين الى الاعتراف بأن الآلية الأساسية لمجتمعهم تشبه آلية الرأسمالية شبه الماء بالماء ، بكل ما ينطوي عليه هذا الشبه من فوضى وتعارض طبقي ، وبكل ما ينجم عن هذه الفوضى وهذا التعارض من نتائج .

وكان من المقدر ، حسب رأي المؤدلجين في الشرق والغرب ، أن تتلاشى الخلافات بين الدول في معمعان التبادلات والتعاون الإقتصادي والسياسي ، وذلك تحت رعاية كريمة تتفضل بالقيام بها مجموعة من الهيئات الدولية تشكل الأمم المتحدة عمادها الأساسي . والأعجب من ذلك أن الوفاق بين القوى العظمى ، كان له أن يشكل بموجب التقديرات المذكورة ، أفضل ضمانة للسلم العالمي ولنزع السلاح من جميع بؤراته ، فما الذي حصل يا ترى ؟

لقد حقق تدخل الدولة في الحياة الإقتصادية تقدماً مرموقاً خلال نصف القرن الأخير وصل في بعض الأحيان الى حد التدويل . كما استعملت البرمجة الاقتصادية وتأميم المؤسسات على نطاق واسع . واتسعت أيضاً نفقات الميزانيات ، وتعمقت أمور التحديد المركزي للاسعار والرقابة على الارصدة وعلى التجارة الخارجية . ان هذه الطرائق التي تسعى نحو المركزة ليست وقفاً على بلدان « الإشتراكية الواقعية » فقط ، ولا على بلدان الرأسمالية الفتية التي تلهث على هذا النحو

للتعويض عن تأخرها في حلبة السوق العالمية . فقد أصبحت أيضاً عملة نقدية رائجة في البلدان التي ترفع شعار الليبرالية الإقتصادية بوصفه مبدءاً مقدساً .

ورغم ذلك فالتضخم يعصف دائماً وأبداً بالتوازنات الإقتصادية والاجتماعية التي بنيت بكل مهارة واعتناء ، والبطالة تمضي على قدم وساق ، والبلدان الضعيفة ، الهشة العود ، تقع فريسة حجم هائل من الديون تفضي بها مباشرة إلى الإفلاس وتؤدي الى ممارسة ضغوط لا تطاق على الطبقات المنتجة ، والخوف من المستقبل يحدق حتى بالبلدان الامبريالية حيث كان ازدهار ما بعد الحرب واحتكار السوق العالمية يمنحان الطبقة العاملة ما تروّح به عن نفسها .

اضطراب متزايد وفوضى معممة ها هي قوانين الرأسمالية تفرض نفسها باشد ما يكون من العنف ، بعد أن زعم الزاعمون انهم مقبلون على تحجيمها !

أما على صعيد العلاقات الدولية ، فقد حل الوفاق محل الحرب الباردة ، وانتهى الأمر ببلدان الشرق الى الانفتاح على البضائع والرساميل الغربية ، مما قضى بضربة واحدة على اسطورة ستالين حول السوقين الاثنين اللذين يفترض بهما أن يخضعا لقوانين اقتصادية مختلفة . لكن هذه الظاهرة لم تؤد ابداً الى السلم بل كانت على العكس مصحوبة بخطوات هائلة على طريق سباق التسلح .

أن مراكمة مخزونات الاسلحة الحرارية النووية ، تكفي اليوم لنسف جزء لا بأس به من كوكبنا دفعة واحدة ، وإتساع نزعة العسكرة

والتجييش في جميع البلدان ، بما فيها اصغرها وافقرها فضلاً عن تطور الصواريخ العابرة للقارات التي تضع كل البلدان بمتناول أبعد اعدائها الممكنين ، قد حوّل الكرة الأرضية باسرها الى ساحة حرب واحدة قابلة للاندلاع .

والوفاق الشهير لم يكن بحد ذاته مبنياً إلا على فكرة واحدة وقحة وهي ، « توازن الترهيب » . فلا هيئة الأمم المتحدة ولا المؤتمرات التي تعقد حول السلم باعداد لا تحصى ، ولا نزع السلاح ، كان بوسعها جميعاً أن تحول دون أن تكون اية مشاحنة بين القراصنة الامبرياليين بسبب وضع اليد على هذه المادة الأولية أو ذلك الموقع الاستراتيجي ، او دون أن يكون أي اختلال في التوازن السياسي بسبب تغيير هذا النظام أو ذلك ، وهي من الأمور التي تحمل في طياتها بذور نزاع امبريالي معمم ، سواء في الهند الصينية أو زائير عو على الحدود الصينية السوفياتية أو افغانستان ، أو في الخليج العربي ـ الفارسي أو في المحيط الهندي أو في أوروبا الوسطى .

٢ ـ الإصلاحات البرجوازية لا يسعها أن تحول دون تزايد البؤس :

هل أستطاعت الرأسمالية ، كما تدّعي ان تقلّص على الأقل حجم التفاوتات الاجتماعية ووطأة البؤس ؟

لقد شهد تحسين الالات وتقنيات الإنتاج واتقانها ، كما شهدت أتمتة العمل وعقلنته ، تطورات لا مثيل لها بعد الحرب . ولكن ما الذي عاد

به كل ذلك على الشغيلة المأجورين حتى في بلدان الرأسمالية الهرمة حيث صير الى تنمية الضمانات الاجتماعية من اجل التخفيف من بعض الاعباء التي تعتبر من أشدّ الدوافع على الثورة والتخريب في الوضع العمالي ؟

لقد كانت النتيجة العامة لهذه الانجازات مزيداً من تجزئة المهام ، ورتابة في العمل ما بعدها رتابة ، وتسريعاً لوتائر الانتاج ، وتكثيفاً للعناء والتعب لا مثيل له وتعميماً للعمل الليلي ولدوام العمل الذي يخضع خضوعاً تاماً لتقلبات الإنتاج من اجل السوق ، واستبداداً متفاقماً في الشغل والورشة والمكتب ، وازدياداً في الاضرار الصحية التي يورثها العمل الصناعي وحياة المدن . فضلاً عن تكاثر الكوارث واستفحال اخطارها بسبب الفوضى الرأسمالية والتسابق على الربح .

عوضاً عن تلبية الحاجات الأولية لجماهير الناس أدت هذه الإنجازات الى انتاج مصنف باكمله من الحاجات المصطنعة والمنافية للحياة الإجتماعية . كما ادت أيضاً الى انتفاخ الشرائح الاجتماعية الطفيلية المرتبطة بهذه الحاجات مما يزيد بلّه في طين النسيج الاجتماعي للمجتمع البرجوازي .

في موازاة هذا كله نجد ان نسبة العاملين الذين يصار الى أقصائهم عن مجال الانتاج تتعاظم في العالم بصورة دائمة ، كما ان الفئات الهامشية والتي تعيش في الأكواخ والأحياء المدقعة تصل الى نسب مخيفة في اطراف الرأسمالية حيث يصل التنافس المهووس في بعض البلدان الى رفع اسبوع العمل اكثر من ٥٠ ساعة و ٦٠ ساعة ، وإلى احكام طوق

العبودية على اعناق الملايين من الأطفال الذين يموتون في كثير من البلدان ، بدءاً من الهند وإنتهاءً بمراكش أو البرازيل ، قبل أن يبلغوا سن الرشد ، من اجل اعالة ذويهم المطرودين من العمل .

لقد تعمم التعليم ، واصبحت وسائل الاعلام والمواصلات عملاقة ، لكنها اصبحت أيضاً وسائل لتبليد اذهان الجماهير المستغَّلة ، فالثقافة الوحيدة التي تقدمها لهم البرجوازية هي ايديولوجيا عبودية رأسمال .

وقد شهدت هذه السنوات الأخيرة نمواً رأسمالياً عاصفاً في العالم الثالث . بيد أن الهوة الهائلة بين البلدان الغنية والبلدان الفقيرة ما زالت مستمرة في تعمقها ، فاصبحت تبتلع على حد تقديرات البنك الدولي نفسه ٨٠٠ مليون أنساناً، أي ما يعادل خمس البشرية ، وتقذف بهؤلاء البشر في حمأة العَوَز الشديد . هذا في الوقت الذي تعمد فيه امريكا ، التي وصل فيها الإنتاج الى حدود قصوى ، إلى تقليص مساحاتها المزروعة بالحبوب حفاظاً على رفع الأسعار . . . أما الكوارث الطبيعية فيصح فيها القول :

من له يُعطَى ويُزاد ومن ليس له يؤخذ منه . إذ أن الرأسمالية هي التي تخلق المجاعة وتقتات منها سواء في بلاد الساحل أو في غيرها .

صحيح أن السنوات الثلاثين الأخيرة التي شهدت تراكماً رأسمالياً محموماً في فترة ما بعد الحرب سواء في بلدان الغرب الامبريالية واليابان أو في بلدان الشرق ، قد عرفت أيضاً ارتفاعاً هاماً في مستوى المعيشة لدى قطاعات واسعة من الطبقة العاملة . فتكاثرت آليات الضمان

الإجتماعي والخدمات المجانية وتحسين الأجور وتوفير العمل ، بالنسبة لبعض الفئات العمالية على الأقل ، مما جعل هذه الفئات مرهونة بمشيئة الدولة وعنايتها فضلاً عن ان هذه الظاهرة التي تعززت بفعل استغلال السوق العالمية وعائدات المداخيل الإمبريالية ، قد طالت شرائح طفيفة من العمال في بلدان الرأسمالية الفتية ، لا سيما تلك التي تتمتع بموقع جيد في السوق بفضل هبة النفط .

لكن ما قيمة هذه المكاسب اذا ما قورنت بتراكم الثروات التي وقعت في نفس الفترة بين أيدي الرأسماليين ؟

أن هذه الثروات لا تؤدي بالطبقات المالكة الى حياة الترف فقط ، ولا الى العجرفة ومظاهر السلطنة وحسب . بل إنها تحولت الى وسائل جديدة للاستغلال ، إلى رأسمال . ثم أنها تنفق على إنشاء وسائل جديدة للقهر والقمع : فهي في الواقع تستخدم من اجل تجييش جيوش من الشرطة البيروقراطيين المكلفين بمراقبة عمل العمال ، ومن اجل شراء جحافل من الشرطة والمرتزقة الذين يقومون بدور كلب الحراسة دفاعاً عن هذه الامتيازات المغدقة ، ويعملون على إفساد جماعات من كل أنواع الطفيليين ، وكل هذا ينوء بثقل شديد على كاهل الطبقة العاملة ، أين منه ثقل الاعباء التي كانت تحملها فيما مضى !

ثم إن هذه المكاسب التي كانت بالأمس موضوعاً للتبجح به ، اليست تقدم اليوم بوصفها عقبات تعيق مسيرة الصناعة ؟ أفلا يُندَّد بها احياناً بوصفها علة المتاعب الإقتصادية ؟ أن الرأسماليين « والقادة العماليين » والاشتراكيين المزيفين حرصاً منهم على انقاذ مقدرة الإقتصاد

القومي على المنافسة ، يجهدون اليوم لكي ينتزعوا من فم الطبقة العاملة ذلك الفتات الذي اضطروا لتقديمه لها خلال الاعوام الثلاثين المنصرمة ! فالإصلاحات الجديدة يقام بها من اجل الغاء الإصلاحات القديمة .

فإذا كانت دولة العناية والرعاية معرضة للانهيار ، فلم يبق إذن الا دولة البطش والقمع .

٣ ـ ليس من الممكن ضبط فوضى السوق :

ولماذا إذن هذه القوانين البربرية واللاإنسانية التي تسحق الطبقات المستغلة تحت وطأة عملها ، وتولّد نتائجها المشؤومة بصورة لا تقبل الشك ؟

لأن الرأسمال بطبيعته لا ينفصل عن العمل المأجور ، فهو لا وجود له بدون هذا العمل ، إنه قرينه (توأمه) الحتمي ، وهو يستولي على القسم الأساسي من العمل الذي يقوم به جمع غفير من العاملين ، أي على فائض القيمة ، ولأن العمال لا يملكون شيئاً من حطام هذه الدنيا ولا من احتياطها فهم يضطرون تحت طائلة الموت لأن يبيعوا قوة عملهم لاصحاب الرأسمال الذين يمتلكون وسائل العمل ، والعمال لا يحصلون في عملية التبادل هذه الا على أجر مساوٍ لجزء بسيط فقط من العمل الذي بذلوه ، فضلاً عن انهم لا يحصلون على هذا الاجر الا إذا كان عملهم مفيداً للرأسمال !

والحال أن رأس المال لا وجود له الا بوجود عدد من الرساميل التي تتخذ صيغة المؤسسات المتنافسة فيما بينها ، سواء كانت مؤسسات

خاصة أو ملكاً للدولة ، أو حتى مطوبة بإسم المؤسسات الإشتراكية .

ولا حياة للمؤسسة بدون تحقيق أرباح ، والربح يزداد أهمية على أهمية كلما كانت المؤسسة قادرة على منافسة المؤسسات الأخرى في السوق ، مما يدفع بها دائماً لأن تستثمر المزيد من الرساميل لمنافسة جاراتها . غير أن كل المؤسسات تقوم بهذه العملية نفسها فينشأ عن ذلك أن حصة العمل الذي اوجد من جديد ـ وهو مصدر القيمة الوحيد ـ تؤول إلى التناقص ، إذا نظرنا إلى نسبتها للعمل القديم الذي إتخذ شكل الآلات والمواد الأولية ، مما يعني أن معدل الربح العام في الإقتصاد يتجه نحو الإنخفاض فلا تجد المؤسسات والحالة هذه إلا أن تشدد استغلالها للعاملين بأن تستحوذ على حصة اكبر من الثروة المنتجة .

إن الرأسمال المتعطش لفائض القيمة لا يسعه أن يؤمن مساره إلا إذا لجأ لحرب يومية يخوضها برهط من الموظفين البيروقراطيين وجلاوزة من الشرطة والسياسيين والمحاسيب من كل نوع ، ضد الطبقة العاملة ، وضد محاولاتها لتحسين وضعها ومصيرها وشروط وجودها ونضالها ، فالهوة بين المستغِّلين والمستغلين لا يسعها إذن الا أن تزداد شرخاً .

هل يكفي ذلك لإنتشال الرأسمالية من المأزق ؟

ـ لا إذ أن حصيلة هذا النشاط المحموم من الاستثمار هي أن المجتمع يجد نفسه في وقت معين حيال فائض من البضائع المخزنة ، وكلمة فائض لا تقال هنا بالمعنى المطلق ، إذ أن الجماهير الغفيرة تكون بحاجة في الوقت نفسه لمقومات الحياة الأساسية ، بل أن هذا الفائض لا يفيض فقط إلا عن مقدرة السوق على الاستيعاب . والمجتمع يملك

فائضاً من السواعد ولكن ليس بشكل عام لأن الآلات موجودة بالفعل ، ولأن ساعات العمل طويلة جداً ، فإذا كان الفائض موجوداً فبالنسبة لحاجات الصناعة من اليد العاملة وبما أن الرأسمال لا يتمكن والحالة هذه من توظيف كل الطاقات فإنه يغدو هو الآخر نافلاً ، وهكذا يأخذ الربح بالتدني رغم كل الجهود المبذولة !

ما هو الحل إذن ؟

الحل هو في العمل على تخفيض قيمة الرأسمال المستثمر الى الحدود اللازمة وعلى تخفيض قوة العمل الى حدودها الكافية ، مما يؤدي لعودة معدل الربح الى سيرته الاولى ، فينطلق الإقتصاد في دورة جديدة من التراكم المحموم ، وذلك على حساب الضغط الذي يزداد اكثر فأكثر على الطبقة العاملة في العالم أجمع ، وعلى حساب البؤس الذي يتفاقم يوماً بعد يوم في اوساط الجماهير المستغلة في البلدان المغلوبة على أمرها .

إذن حاولوا إذا استطعتم أن تضبطوا هذه الفوضى كلها عن طريق رقابة الدولة ! سيكون بوسعكم الى حد ما ، أن تنظموا عملية التنافس ضمن السوق الداخلية ، رغم أن ذلك لا يتم إلا بتضخيم الجهاز البيروقراطي . ولكن بما أن الاقتصادات القومية تظل متنافسة فيما بينها ، فإن حرب الجميع ضد الجميع لا بد أن تنتقل الى مستوى اعلى ، أي الى السوق العالمية وهناك لا بد أن تتجابه التروستات الدولية الكبرى ، سواء منها الخاصة أو العامة ، وهي تملك في منافستها هذه انواعاً من الاسلحة والحيل ، اعظم بكثير من تلك التي تملكها المؤسسات المحلية فالتروستات المذكورة تستطيع التحكم بدول كاملة ، وتستطيع التصرف باساطيل حربية وبمستودعات من الصواريخ ، لكي تخدم مصالحها

وتفرضها فرضاً . وهكذا يتحول التنافس الإقتصادي إذن الى تنافس معمم بين الدول أي الى مبارزات لا تقتصر على الامور الإقتصادية والتجارية فقط ، بل تتعداها الى المسائل الدبلوماسية والاستراتيجية والعسكرية .

وهكذا يصبح التنافس صراعاً على جميع الجبهات ، دفاعاً عن مناطق النفوذ وعن المحميات الخاصة التي لا بد أن تعرف ، والحالة هذه تطوراً متفاوتاً من حيث طاقاتها الاقتصادية وقوة دولها وهذا يصح على كل منها منفردة ، كما يصح أيضاً في حال مقارنتها بعضها ببعض .

لقد كانت المانيا واليابان كبشي محرقة للمجزرة الإمبريالية الأخيرة وقد دُكّ اقتصادهما بالأمس دكاً . ولكن ها هما اليوم تهددان من جديد كبرياء امريكا في عقر اسواقها المرتبكة ، بينما نجد أن المجال الروسي الذي انخم بالسلاح لكي يوازن قوة الولايات المتحدة ، يعاني دائماً من نقص نسبي على الأقل في الرساميل .

من هنا ليس في ميدان الرأسمالية إلا حرباً جديدة بوسعها أن تتيح في نهاية المطاف توزيعاً جديداً للعالم . وهذه الحرب أمر لا مفر منه من اجل ازدهار القوى الإنتاجية من جديد .

ولكن ما هي نتيجة هذا النوع من الحلول للازمات ؟

إنها النتيجة نفسها التي ندد بها البيان الشيوعي عام ١٨٤٨ « التحضير لأزمات أشمل واقسى مما يعني تقليل الوسائل الكفيلة بحلها » .

٤ - الحقوق البرجوازية هي كناية عن تضليل للطبقة العاملة :

لقد تم توريط البروليتاريا العالمية في المجزرة الإمبريالية الثانية بإسم الدفاع عن الديمقراطية ضد الفاشية وبدعم كامل من الأممية الستالينية ، في حين كانت البرجوازية في المانيا النازية تبرر الحرب من جهتها بالدفاع عن اشتراكية قومية مزعومة ضد امبريالية « الدمقراطيات البلوتوقراطية » وكانت البرجوازية اليابانية تزعم تحرير آسيا من الامبرياليين البيض .

وبعد إنتهاء الحرب الإمبريالية الثانية بدأت تثار دعوة بأن التحصيل المستمر للحقوق وللحريات الجديدة وللمساواة أمام القانون سوف يكون له ان يحل التناقضات بين الطبقات والدولة ، وبين الفرد والمجتمع ، دونما حاجة الى اصطدامات وعنف ، وتحت إشراف الإمم المتحدة واعلانها الشامل حول حقوق الإنسان . فحتى الإشتراكية الروسية المزيفة انتهى بها الأمر الى الموافقة على هذا الطرح عند انعقاد المؤتمر العشرين الشهير للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي ، ومناداته بالتعايش السلمي والسبل الديمقراطية والبرلمانية والقومية المؤدية الى الاشتراكية .

أما ما تعنيه المساواة في الحقوق في ظل النظام الرأسمالي فسرعان ما تبين على نطاق واسع عبر موجة النضال ضد الامبريالية في فترة ما بعد الحرب ، فقد كانت هذه الحرب سبباً في دفع القوى الانتاجية دفعاً حثيثاً الى الامام في جميع الأمكنة ولكن هل كان بوسع الحصول على الاستقلال والمساواة القانونية بين الأمم في ظل منظمة الأمم المتحدة ، قادراً على الحؤول دون أن تتململ الرأسمالية ضمن حدودها القومية الضيقة . . ؟

بالعكس فلم يشهد التاريخ فترة كانت فيها سيطرة الامبرياليات الكبرى على المواد الأولية بمثل الشمول الذي شهدته تلك الفترة ، ولا حقبة كانت فيها الاستثمارات الامبريالية بمثل هذه الضخامة ، ولا مرحلة كانت فيها الديون الدولية بمثل هذا الحجم ، بحيث أن بلداناً عديدة اضطرت الى الخضوع لدكتاتورية فعلية تقوم بها البنوك الكبرى في بعض الدول ، وبنك النقد الدولي ، بل وتملى عليها أدق تفاصيل سياستها الإقتصادية والمالية والاجتماعية ، وإذن البوليسية . لقد مرت مصر والبيرو كما مرت تركيا والسنغال بمثل هذه التجربة المريرة شأنها شأن العديد من البلدان الأخرى .

لم يحصل في الماضي أن كانت خيوط الشبكات الدبلوماسية والعسكرية التي ترص بلدان العالم الثالث بعضها الى بعض ، بمثل هذا الضيق ، ولم يسبق لوهم المساواة بين الأمم أن تبدد كما يحصل في هذه الفترة .

ولكن من اين للبلدان التي حصلت على استقلالها حديثاً وعلى وجود قومي مستقل ، أن تنجو من هذا الحزام الذي يلفها ، في حين أن بلداناً رأسمالية وامبريالية قديمة وقوية ، مثل المانيا واليابان أو مثل انكلترا وفرنسا ، قد ارغمت على التبعية السياسية ؟

إن ما تعنيه المساواة في الحقوق بين العاملين تبيّنه ، لنا التجربة اليومية التي يعيشها هذا الهندي « النجس » الذي يتحاشى البعض مجرد ملامسته ، وذاك الأسود الامريكي وذلك العامل الاجنبي المهاجر الى

اوروبا أو الولايات المتحدة أو غيرهما ، وتلك المرأة التي تعاني من العبودية المزدوجة في المصنع والبيت في كل انحاء العالم . والواقع ماذا يجدي الاعلان عن المبادىء والضمانات الدستورية كلها أمام واقع الرأسمالية التي تقوم على التنافس بين العمال وتغذي من حيث الفعل إن لم يكن بواسطة القانون ، جميع الغيبيات القديمة ، وجميع الفروقات الفئوية والعرقية والقومية والجنسية ، وتفاوتات السن والثقافة والمهارة ، لكي تضرب العاملين بعضهم ببعض ؟

ناهيك بالمساواة بين المستغِل والمستغَل فيا له من تضليل خيالي جموح . إن الفلاح الهندي في المكسيك لا يساوي شيئاً يذكر أمام الملاك العقاري ، وكذلك عامل المنجم في جنوب افريقيا لا يساوي شيئاً يذكر أمام رب العمل في الشركة المنجمية ثم ما هو الوزن الفعلي للعامل في الدولة الأمريكية ما أن يعترض على إدارة إحدى التروستات الدولية الكبرى ؟ بل ما هو وزن الآلاف من أخوانه إزاء رب العمل ؟ إن القانون الذي وضعه بالضبط « ممثلو الشعب » يعطي هؤلاء حق الاضراب ، ولكن إذا خطر ببالهم أن يستعملوا هذا الحق استعمالاً جدياً أي بما يضر مصالح رأس المال فإن القانون نفسه يسمح بأن يطلق في وجوههم ، وبصورة لا مثيل لديمقراطيتها ، جحافل وفيالق بكاملها من الموظفين والقضاة والشرطة والحرس الفدرالي والمحلي ، فضلاً عن عصابات من الميلشيات الخاصة ، بل ومن القتلة المأجورين ، إذ يسارع هؤلاء جميعاً الى استكمال ما كان قد بدأه رهط من النقابيين البيروقراطيين الذين يضعون رجلاً في أرض الحكومة وأخرى في أرض

« الأوباش من الناس » وكل ذلك من أجل ترسيخ اقدام حرية العمل المقدسة !

إما حرية الصحافة وعقد الاجتماعات ، حتى في أشد الديمقراطيات ليبرالية ، فهي كذب وتدجيل ، هذا عندما لا تكون محدودة بموجب القانون . أن الرساميل اللازمة اليوم لانشاء صحيفة يومية قد بلغت مبالغ لم تصل اليها في يوم من الأيام ، ولم تكن وسائل الاعلام (خاصة الإذاعة والتلفزيون) ، حكراً على حفنة ضئيلة مثلما هي عليه اليوم . ثم أن تمركز الملكية العقارية ورقابة الدولة يحول عملياً دون إيجاد أمكنة لاجتماع العاملين الذين يحتاجون اليها ، حتى ولو كان القانون يسمح لهم بذلك من الناحية النظرية .

إن الحديث الدائم عن حقوق الإنسان لم يحل دون استشراء اللجوء يوماً بعد يوم الى تعذيب السجناء والى الإغتيالات السياسية حتى في أكثر الديمقراطيات ديمقراطية فيا لهذا التأسي ، ويا لتلك الاشادات القانونية ـ الفلسفية التي يتغنّى بها أولئك الذين لم يترك الرأسمال لهم حرية سوى حرية الحياة والموت في سبيله ، ولم يترك لهم حقاً سوى حق التغنّي بهذه العبودية .

٥ ـ لا لدقرطة الدولة البرجوازية ، نعم لتدميرها :

ماذا يجدي الاستفتاء الشامل عندما يكون بوسع التروستات أن تشتري النواب زرافات ووحداناً ، وتبتاع أحزاباً بكاملها ؟ ماذا يجدي عندما يكون بوسعها بسهولة أن تدجن الموظفين والضباط؟ فأية فائدة

أصبحت ترجى من البرلمانات بعد أن انتزع منها تمركز الرأسمال الحالي كل مقدرة عل التغريد ؟ حتى لم تعد تصلح الا ديكوراً وحسب ؟ فأي معنى في مثل هذه الشروط للانتخابات التي تتكاثر الى ما لا نهاية لانتخاب أعضاء البرلمان والبلديات ، بل حتى في المؤسسات ، اللهم إلاّ أن تؤمن للمندوبين مناصب مدفوعة الأجر دون القيام بأي عمل سوى المماطلة حول مصالح الذين انتخبوهم ، وإقناعهم أن هذا النظام هو الذي يمكن التأثير من خلاله على مسيرة الرأسمالية من أجل تطويعها ؟ .

إن عنف التناقضات الإجتماعية التي تستشري في بلدان الأطراف الرأسمالية يأتي اليوم ليذكرنا بمدى عجز آلية **الديمقراطية** البرلمانية المقدسة ، عن الصمود أمام أبسط درجات التحركات الإجتماعية ، إذ يقفز الجيش فوراً في هذه الحالات ويضع في يده جميع الشؤون بمباركة الأحزاب الليبرالية **الديمقراطية** والأحزاب العمالية المزعومة ، التي بتنا نشاهد تكرار دورها في كثير من البلدان .

أما في البلدان الرأسمالية الهرمة ، أي البلدان الامبريالية في الغرب ، فقد أدى التعاون النشيط لبعض الأحزاب القومية التي تسعى الى التوفيق بين مصالح الطبقات الى دفع النهم **الديمقراطي للحكم** خطوات الى الأمام . إن هذه الأحزاب سواء كانت برجوازية صغيرة ديمقراطية ، أو أحزاباً عمالية برجوازية ، أي عمالية من حيث تكوينها ونفوذها وبرجوازية من حيث سياستها ، تعمد تارة الى معارضة الحكم بالطرق الشرعية في المجال البرلماني ، وطوراً الى الاشتراك في هذا الحكم ، ساعية في كلتي الحالتين الى اعقام النضالات العمالية وتدعيم

الية الدولة الرأسمالية ، وهكذا فإن قمع الإرهاب « الرومنطيقي » على طريقة الألوية الحمراء في ايطاليا ، جاء يذكرنا بمدى تعاون هذه الأحزاب مع الدولة ، وتمكينها من الانتقال دفعة واحدة الى حالة الطوارىء والقوانين الاستثنائية لدى أية إشارة تنم عن تمرد اجتماعي ضد النظام الديمقراطي ، وذلك قبل أن يتسنى للطبقة العاملة مجرد التحرك على صعيد واسع .

فهل يتوجب على الطبقة العاملة أن تدافع مهما كان الثمن عن هذه الشكلية الديمقراطية المضادة للثورة التي لا تحرص البرجوازية عليها إلاّ إخفاء منها لتسلطها وهل يتوجب على الطبقة العاملة أن تعتمد على هذه الشكلية المذكورة في النضال ضد الطبقة الرأسمالية ؟

وبعد أن نجحت « الفرنكوية » في إسبانيا بنقل السلطة الى الديمقراطية بهدف عرقلة النضال العمالي ، ها هي البرجوازية البرازيلية والبرجوازية البولونية تحاولان بدورهما أن تعرقلا هذا النضال باتخاذ أشكال من الانفتاح والتعددية .

لقد كان بيان ١٨٤٨ الشيوعي يقول : « أن الحكومة الحديثة ليست سوى لجنة تتولى ادارة الأعمال المشتركة للطبقة الرأسمالية » وكلما كانت الدولة ديمقراطية كلما تركت مقاليد اللعبة الحرة لقوى البرجوازية ، فأدّى ذلك الى سقوطها في أيدي أصحاب الرساميل الهائلة التي لا تكتفي فقط باستغلال الطبقة العاملة ، بل تتسبب كل يوم بإنهيار جماهير متزايدة من الفلاحين ، بل حتى جماعات من صغار البرجوازيين ممن يركعون رغم ذلك أمام جبروتها .

وكلما كانت الدولة ديموقراطية ، كلما توصلت الى اشراك البروليتاريين انفسهم في ادارتها مما يؤدي الى تكبيل الطبقة العاملة بالاغلال ويعيق نضالها ضد الطبقة الرأسمالية .

وكلما كانت الدولة ديمقراطية كلما بدت أنها فوق الطبقات الإجتماعية وفوق المجتمع بأسره لكنها في الواقع تزيد من مقدرتها على سحقه بثقلها ووطأتها وتساعد بالفعل على تحقيق دكتاتورية رأس المال الغير شخصية .

٦ ـ المجتمع ناضج نضوجاً مثالياً من اجل الشيوعية :

منذ بداية القرن العشرين ، أي منذ أن اخذت حفنة من التروستات والدول تتقاسم العالم وتعيد تقسيمه من جديد ، وصلت الرأسمالية الى اعلى مراحلها أي الى الامبريالية التي تعتبر « مدخلاً للاشتراكية » على حد تعبير لينين .

وقد مضى على المجتمع وقت طويل كان فيه ناضجاً بوجه اجمالي نضوجاً نموذجياً من اجل التحول الشيوعي ، رغم الأخذ بعين الإعتبار للفروقات الهائلة بين نمو مختلف مناطق العالم . ولهذا نجد أن الصراع الذي ينشأ من جهة بين القوى الإنتاجية الحديثة ، والعمل المشترك والحياة الجماعية ونتاجها الأصفى أي البروليتاريا ومن جهة اخرى بين هذه العلاقات بالذات أي الرأسمال والسوق والدولة التي تدافع عنها ، نجد أن هذا الصراع يتخذ يوماً بعد يوم صيغة التعاقب الجهنمي

للأزمات والحروب وكل انواع الكوارث .

إن هذا المسار الجهنمي لن يتوقف الا بالاطاحة العنيفة بالنظام القائم بما يتيح للمجتمع أن ينتزع القوى الانتاجية من قوانين رأس المال العمياء ويضعها في خدمة تطور البشرية ونموها .

ومهما بلغت مدة التحول الشيوعي للمجتمع بأسره . فإنه هو وحده الكفيل بالحلول محل الفوضى المعممة وذلك عن طريق الادارة الاممية المركزية لطاقات البشر الانتاجية ، وللموارد الطبيعية ولثروات الكرة الأرضية بكاملها ، وعن طريق الغاء التقسيم الإجتماعي للعمل والطبقات الاجتماعية . أما الفروقات الموجودة بين البلدان الغنية والبلدان الفقيرة أي الهوة القائمة بين الأمم والاعراق ، فيصار الى ردمها عن طريق التضامن المتجرد الذي من شأنه ان يعوض عن الظروف الجغرافية والمناخية السيئة . وكذلك فإن التحول الشيوعي كفيل بالقضاء على التناقض بين المدن والأرياف والوقوف في وجه العواقب الوخيمة التي تنجم عن الصناعة ، وإيقاف عملية استنزاف الأرض والبشر التي لا بد أن تنتج بالضرورة عن قوانين رأس المال .

سوف يصيح الايديولوجيون البرجوازيون بأن ما نذكره هنا ليس طوباويات وأوهام . ولكن الم تهيء الرأسمالية ، بتقدم التقنيات الزراعية الحديثة حلولاً من شأنها أن تطعم سكان العالم بأسره ، شرط أن تحرر وسائل الإنتاج الموجودة حالياً من احتكار الملاكين العقاريين ومن وطأة السوق الرأسمالية .

أفلا يوجد على صعيد العالم ما يكفي من التقنيات الحديثة لتقليص

وقت العمل تقليصاً كبيراً ، ولسد حاجات البشر الملحة للسلع الضرورية ، شرط أن نشرك في عملية الإنتاج اولئك الذين ابعدتهم عنه حالياً آلية العمل المأجور والذين يعادلون نصف البشرية وشرط أن نحرر الآلات من الخضوع لقوانين الرأسمال العمياء .

وهل من الغريب حقاً أن يتصور المرء امكانية الاستغناء تدريجياً عن السوق على صعيد الكرة الأرضية ، بأن يصار الى ادارة مركزية لانتاج جميع البشر واستهلاكهم ؟ . إن مسار الرأسمالية هو الذي يدفع لا محالة بهذا الاتجاه . فالتروستات الجبارة تشغل الآن مئات الآلاف بل الملايين داخل هذه المنشآت الضخمة لكي يروجوا المنتوجات التي يصنعونها .

لقد وصل التقسيم العالمي للعمل الى حدود قصوى ، بحيث أن البضائع المتداولة التي تباع في طول الأرض وعرضها تحتوي على عمل قام به عمال من جميع القارات ، وبحيث أن قوة وسرعة وسائل المواصلات الحديثة تسمح باحتساب جملة من المعلومات المجموعة من سائر اقطار الدنيا دفعة واحدة . وهناك مستودعات هائلة تخزن جزءاً متعاظمًا من الإستهلاك . وشركات عملاقة أو مؤسسات عامة تشرف على مساكن ملايين البشر . ثم أن هناك قسمًا كبيراً من السكان يتناولون على الأقل قسمًا من طعامهم في مطاعم جماعية . لكن الرأسمالية تتابع هذه العملية التشريكية على طريقتها الخاصة بأن تدفع المنافسة بين التروستات والدولة الى أقصى مداها وبأن تجعل الحياة أصعب فأصعب بالنسبة للجماهير العريضة .

هكذا يكون من الممكن تأليف وحدة انتاجية واحدة تضم العمل

المبذول في اكبر الف مؤسسة انتاجية في العالم من نموذج تلك التي تتولى الإشراف الآن على جزء كبير من الثروات الموجودة ، ثم دمج باقي الإنتاج ، بصورة تدريجية في هذه الوحدة الإنتاجية الكبرى فهذه العملية تكون ايسر بكثير من تلك التي تمت بالأمس عندما تم الانتقال من وحدات الإنتاج الفردية الصغيرة الى المنشآت الحديثة التي تنسق بين عمل مئات الألوف من العمال واحياناً أكثر بل لعل توحيد ١٥٠ دولة قومية في وحدة اجتماعية واحدة ، قد يكون اقل صعوبة بكثير مما تم بالامس ، عندما جرى توحيد اكثر من ٣٥٠ دولة المانية في دولة قومية موحدة .

إن معظم المهام الإنتاجية قد اصبحت اليوم بسيطة بما فيه الكفاية بحيث أن قسماً كبيراً من سكان العالم يتزايد يوماً بعد يوم ، بوسعه القيام بها ، كأن توزع بين جميع افراد المجتمع ، تلك المهام الشاقة والمزعجة التي لا تستطيع الآلات الآن القيام بها . وأن نشرع بتوزيع المهام الإنتاجية والادارية والفكرية على الجميع هي أمور اصبحت الأن بمتناول اليد ، شرط أن نتخلص من قوانين رأس المال .

إن الرأسمالية التي تراكم جميع الأدوات والمعدات الصالحة لتحويل المجتمع تحويلاً شيوعياً ، لا تكتفي بجعل هذا المخرج امراً ضرورياً لانتشال البشرية من الآلام التي اغرقتها بها ، **بل هي تنتج أيضاً القوة الكفيلة بتخليص البشرية منها أي البروليتاريا .**

٧ ـ البروليتاريا حفارة قبر الرأسمالية :

لقد إنتقمت الطبقة الرأسمالية من الرعب الذي الحقته بها ثورة

اكتوبر انتقاماً لا مثيل له . فحيث اخفقت الديمقراطية والاعيب التعددية والتناوب الديمقراطي في احتواء الانطلاقة البروليتارية ، وحيث فشل تضافر البيروقراطيات الإصلاحية في حرف مسيرة احتجاجها وتحويلها الى ركاب النظام البرجوازي ، تكفلت الفاشية باكراهها على القبول بالنظام الامبريالي . وعندما عمدت الستالينية الى كسر وجهة البروليتاريا وتنظيمها على الصعيد الأممي ، لم تكن في ذلك إلا الأداة السياسية لهذا الإنصياع . وفي روسيا فرضت الستالينية هذا الإنصياع فرضاً مباشراً بتقويض الحزب الشيوعي والدولة البروليتارية واستئصال شأفة الحرس الثوري القديم بأسره وفرضها على البروليتاريا تقديم التضحيات الموسمية .

ومع موجة الأزدهار التي عرفتها فترة ما بعد الحرب ، شرعت البرجوازية بالتعاون الوثيق مع الإصلاحية الإشتراكية الديمقراطية والإصلاحية الجديدة الستالينية ، بجملة من الإصلاحات الإجتماعية ، كانت الطبقة العاملة قد دفعت ثمنها سلفاً من دماء عشرات الملايين من أبنائها في ساحات المعركة وتحت قصف القنابل ، ومن الآلام التي عانتها خلال الحرب وخلال فترة التعمير التي تلتها .

ولكن هل تم فعلاً احتواء الطبقة العاملة واستيعابها ؟ وهل تبرجزت الطبقة العاملة نهائياً كما ادعت جميع الميليشيات الايديولوجية التي جندتها البرجوازية ؟ أم هل كفت نهائياً عن أن يكون لها مصالح متميزة عن مصالح الطبقات الأخرى لكي « تذوب بين صفوف الشعب » كما يحلو للمنظرين المأجورين لدى الدواوين الموسكوفية أن يزينوا لنا ؟ فإذا سلمنا

جدلاً بأن هذا صحيح ، فلماذا إذن تتضخم قوى القمع كل هذا التضخم ، وتتخذ اشكالاً لبقة ، فتظهر بمظهر القوى الوقائية مثل علماء النفس وغيرهم من « المرشدين الاجتماعيين » حيث بدأ الأنتهازيون والكهنة وآيات الله يفقدون شيئاً من نفوذهم ؟ .

بالحقيقة أن الأسلحة التي تمتلكها الطبقة العاملة نظرياً ، قد أصبحت أقوى وأشد ، فصفوف البروليتاريا لم تتعاظم تعاظماً مرموقاً وحسب بل أن تمركز الصناعة يضع في أيديها وسائل تزداد ضخامة يوماً بعد يوم ، حتى ولو كان مختلف الخبراء البرجوازيين يجهدون بمختلف الوسائل للتلطيف في مفاعيلها الثورية .

إن التربية والتنظيم اللذان يغدقان بسخاء على البروليتاريا في جحيم المصانع وفي الجيوش البرجوازية يصبحان سلاحين ماضيين ضد الرأسمالية إذا احسنت الطبقة العاملة استخدامهما لمصالحها الخاصة .

وبينما تؤدي مسيرة رأس المال الى احتدام التنافس بين البرجوازيين أكثر فأكثر وتدفعهم الى التذابح والتناحر باستمرار ، فإنها تؤدي أيضاً الى تساقط جماهير من البرجوازية الصغيرة والفلاحين الذين حل بهم الخراب ، الى صفوف البروليتاريا ، كما أنها تساوي دائماً وتوحد أبداً بين شروط معيشة البروليتاريين وعملهم ، وتحطم الحواجز بين الرجال والنساء بأن تجعلهم جميعاً يحلون في المصانع بعضهم مكان بعض ، وهي ايضاً تجمع مختلف القوميات في نفس المؤسسة الصناعية الواحدة وفي نفس الحي الواحد بما تولده من هجرات عمالية لا انقطاع لها .

وإذا كانت البرجوازية وخدمها الإصلاحيون يحرصون كل الحرص

على اعادة بناء هذه الحواجز وهذه التفرقة فإن بوسعهم أن يؤخروا دون أن يستطيعوا الغاء تلك النتائج التي تحكم على البروليتاريين حكماً مبرماً بالنضال دفاعاً عن شروط حياتهم وعملهم المهددة دائماً بقوانين الرأسمال ، وتدفعهم بالتالي إلى تخطّي عوامل التنافس فيما بينهم بوصفها العوامل التي تشكل قوة البرجوازية .

فإذا كانت الوحدة التي تنشأ عن جهدهم هذا تنهار بصورة مؤقتة وبفضل ظروف غير ملائمة أو بسبب بطش الشرطة أو بفعل تخريب التيارات العميلة للبرجوازية التي تزعم أنها عمالية فإنها لا بد أن تعود فتولد أقوى وأشد تحت وطأة الرأسمال .

فالإضراب الهائل الذي قام به العمال البولونيون صيف ١٩٨٠ يأتي ليذكرنا بمدى القوة العظيمة التي تنطوي عليها عضلات العملاق البروليتاري المستغرق في النوم . وقبل ذلك بعام واحد كان انهيار الجيش الإيراني الذي يعتبر من احدث جيوش العالم ، قد ذكّرنا بأن الجنود هم الذين يتدبرون امر السلاح وانهم في معظمهم من العاملين، وأن قلوبهم يمكن أن تخفق لخفقان قلوب اخوانهم الطبقيين .

لقد برهن هذا الحدث ان احدث المدافع وادقها صنعاً ليست إلا ركاماً من حديد إذا رفض الجنود استخدامها وعلينا أن نتصور أية قوة يمكن للبروليتاريا أن تمتلكها إذا استخدمت هذه الأسلحة لصالحها !

إن معركة الطبقة العاملة تتعزز اليوم بالعديد من الأفواج البروليتارية التي تنشأ في جميع القارات التي كانت مستعمرة بالأمس وحيث كان نمو الرأسمالية نمواً صاعقاً . هؤلاء البروليتاريون الجدد

يقدمون على النضال بكل العفوية الثورية التي يزودهم بها افتقادهم الكامل لأي احتياطي ، وكثيراً ما تكون نضالات التحرر القومي الحديثة العهد بمثابة المحفز لنضالاتهم الحالية ، فيضربون عرض الحائط باسطورة « الإشتراكيات القومية » التي تحققت كما حصل في الجزائر مثلاً بالتعاون والإنسجام بين جميع الطبقات فضلاً عن ذلك ، فإن موجات الهجرة الأممية الشديدة تدفع بهم الى المراكز الإمبريالية حيث يشكلون اشد قطاعات الطبقة العاملة بأساً ويجرونها بمجملها الى حلبة النضال .

عندما تصل الإمبريالية الى الفترة التي تضطر فيها الى استرجاع ما منحته للطبقة العاملة في الماضي من ضمانات تقيها ردود الفعل المتمردة ، فإن الطبقة العاملة ستنطلق من جديد في نضالها البروليتاري ، وعندئذ سوف تتهاوى في غياهب النسيان كل النظريات التي تدور حول تبرجز الطبقة العاملة وحول الثورة التي يشكل عمادها الهامشيون كما يحلو «لماركوز» القول ، ولكل هراء النظريات الإصلاحية حول تخطي الرأسمالية ، او حول السبل الجديدة للاشتراكية العزيزة على قلوب الإشتراكيين الديمقراطيين وورثة الستالينية ، فضلاً عن شعوذات « الإشتراكية الواقعية » في أوروبا الشرقية .

لقد قال البيان الشيوعي عام ١٨٤٨ **في هذا الصدد «من بين جميع الطبقات التي تقف حالياً في وجه البرجوازية ليس هناك طبقة ثورية حقاً الا البروليتاريا وحدها »** .

إن الإمبريالية لم تقتصر في مسيرتها على مراكمة الأسلحة التي تضعها رغماً عنها بين يدي البروليتاريين والتي تسعى التيارات العمالية المزيفة

الى عرقلتها واخفائها بل إنها رغم كل جهودها مضطرة لأن تعلم هذه الطبقة كيفية استعمال هذه الأسلحة .

فالبرجوازية قد احاطت دولتها بانظمة دفاعية عديدة ، إلا أن كل دخان الإنتخابات والبرلمانات وكل ضباب المناوبات الديمقراطية والتعددية ، وجميع أضاليل اللامركزية والتسيير الذاتي ، وإشراف المواطن على المؤسسات في جميع الأصعدة ، لم تفلح في اخفاء المركزة الهستيرية لكل جوانب الحياة الإجتماعية في أيدي الدولة تلك القلعة الاستراتيجية التي ينبغي محاصرتها لشق الطريق أمام المجتمع المقبل .

وقد صبت البرجوازية على الدكتاتورية البروليتارية في روسيا اكتوبر سيلاً من الافتراءات باسم الديمقراطية ، غير أنها مضطرة كل يوم الى البرهنة على ان كل محاولة لاستخدام آلة الدولة الرأسمالية وفق المصالح البروليتارية أمر مستحيل ، وأن هذه الآلة ينبغي أذن أن تُحطم بقضها وقضيضها .

وإذ تضطر البرجوازية الى استخدام عنفها السافر ضد انواع التمرد التي تنفجر اكثر فاكثر من حين لآخر ، فإنها تبرهن يومياً ، ورغم كلامها الليبرالي المعسول ، أن قوتها لا تستند الى الحق والاخلاق وسائر الاباطيل الأخرى ، بل الى العنف والدكتاتورية والرعب الذي يوحي به تفوق سلاحها . فهي والحالة هذه تعلم البروليتاريا على عدم احترام أية شرعية وأية صنميّة دستورية .

لقد صورت البرجوازية دكتاتورية الحزب الواحد بأنها ابشع الجرائم التي ارتكبتها ثورة اكتوبر ، لكن كل المسار اللاحق الذي سارته سيطرة

البرجوازية الطبقية قد بين أن دكتاتورية الحزب الواحد هذه هي بمثابة الإتجاه التاريخي الذي لا بد منه . فدكتاتورية الحزب الواحد البرجوازي هي التي مكنت الثورة المضادة من الانتصار مع ستالين ، وهي التي مكنت من تهدئة اوروبا الشرقية بعد تقسيم يالطا . وهي التي تمكن البرجوازيات الفتية في العالم الثالث من مواجهة التناقضات الحادة التي تتهددها . وهذا الشكل هو الذي بدأت تقترب منه ديمقراطيات الغرب المصفحة، وريثة الفاشية التي تميل مختلف احزابها الى أن تصبح متقايضة فيما بينها ، وتعرب عن مزيد من الإنصياع والخنوع أمام الجهاز التنفيذي الكلي القدرة والقوة وأمام حدة الصراع على الرئاسة .

وبعد ذلك تريدون من البروليتاريا أن ترفض ، رغم ذلك كله ، سلاح قيادة حزبها دون منازع؟ فالبرجوازية تصور الأممية كما لو انها فزاعة ، لكنها مضطرة بصورة منتظمة الى خنق نزاعاتها لكي تجابه النضالات الاجتماعية التي تهدد سيطرتها على مكان معين من الكرة الأرضية ، لا تتردد عندئذ في طمس مطامعها ، ولا في طلب التضامن معها من عسكر الامبرياليين الأقوى منها فتترك لهم مهمة الإشراف على منظمات اممية من كل نوع وخاصة أممية قمع حقيقية . ورغم هذا كله تريدون أن تعمد البروليتاريا التي هي طبقة أممية بطبيعتها ، والتي تزداد أممية بفعل شروط حياتها وعملها ونضالها الى رفع لواء المبدأ القومي الذي لا تنفك البرجوازية كل يوم عن دوسه بالقدمين ؟؟ .

فليس إكتشاف الاسلحة الجديدة هو الذي سيساعد البروليتاريا على التحرر ، **بل باستيلائها** على الأسلحة التي تقدمها لها البرجوازية وتعلمها رغماً عنها ـ كيفية استخدامها .

وكما أكد البيان الشيوعي عام ١٨٤٨ أن البرجوازية تنتج قبل كل شيء حفارى قبرها . فأنحطاطها وانتصار البروليتاريا أمران لا محيص عنهما . .

ثانياً ـ الطبقة العاملة تملك في ماضيها اسلحة النصر :

١ ـ الماركسية هي نظرية الحزب الطبقي :

ليست الطبقة العاملة بحاجة الى استنباط نظرية جديدة للتحرر من ربقة الرأسمالية فنظريتها هي الماركسية الثورية ، ورغم الجهود الحثيثة التي يبذلها جيوش من المؤدلجين الذين يلعقون حذاء البرجوازية لم تتمكن البرجوازية من القضاء على هذه الماركسية الثورية **لأن تطور مسار الامبريالية حتى ايامنا هذه ما زال يؤكدها في جميع المسائل** .

« لا ممارسة ثورية بدون نظرية ثورية » ، كما يقول لينين ، فأثناء فترة مخاض الحركة العمالية التي انتهت عام ١٨٤٨ ، كان المنظرون الشيوعيون قد استبقوا وصف المجتمع المقبل ، لكنهم كانوا ما يزالون يرونه بوصفه مجرد نتيجة لمسيرة الأفكار المظفرة ، أما العمال من جهتهم فقد كانوا ما يزالون منتظمين في السياق الايديولوجي للشرائح المتطرفة من البرجوازية ، وكانوا يرفضون الأفكار الشيوعية .

ومن اجل تجاوز التضاد الذي كان قائماً بين النظرية الشيوعية والنضال السياسي كان من الواجب أن تنضج الشروط المادية للتحرر

نضوجاً كافيا وأن ينمو التناقض بين الطبقة العاملة والبرجوازية الى حد معين .

وقد اكتسبت الطبقة العاملة اداة هذا التجاوز باستخدامها للمعارف النظرية الطليعية في ميادين الفلسفة والسياسية والإقتصاد ، ومع المفهوم المادي للتاريخ الذي اكتشفه ماركس والذي يعرضه البيان الشيوعي عام ١٨٤٨ م بصورة اجمالية ، ظهرت الشيوعية منذ ذلك الحين بوصفها نتيجة للرأسمالية كما ظهرت حركة النضال البروليتاري بوصفها صانع الشيوعية .

فالبروليتاريا قد توصلت مع الماركسية الى إكتساب نظريتها الخاصة المتكاملة ، التي تحمل برنامجها وتنوِّر حركتها في جميع مراحل نموها ، وتؤكد مبادىء معركتها . وبدءاً من ذلك الحين غدا نضالها ضد البرجوازية يُخاض بوصفه حركة طبقية مستقلة تمام الإستقلال وبوصفها حزباً متميزاً ، فعندئذ بدأ تاريخ الحزب الشيوعي .

الحزب الشيوعي هو **الأداة** التي لا مفر منها لنضال البروليتاريا الثوري ، فهو إذ يضم في صفوفه الجزء الطليعي والحازم من البروليتاريا ، يوحِّد جهود الجماهير الكادحة بأن يقودها من النضال اليومي الذي يرمي الى تحقيق المصالح الجزئية ، ومن النتائج الآنية ، الى النضال العام من اجل التحرر الثوري للبروليتاريا . أما مهمته فهي **نشر النظرية** الثورية بين الجماهير ، وتنظيم وسائل العمل المادية ، **وتوجيه** الطبقة الكادحة في **خضم الصراع** ، **بأن يؤمن الإستمرارية التاريخية للحركة ووحدتها الأممية** .

إن الظروف التاريخية قد أنجبت الحركة البروليتارية في أوروبا ، لكن هذه الحركة الآن تشمل العالم بأسره ، وقد تضافرت الأسباب المذكورة فجعلت الماركسية تنشأ في اوروبا لكن الماركسية تشكل نظرية أممية للبروليتاريا بأسرها . والأسباب نفسها جعلت الحزب الشيوعي يولد في أوروبا لكن اهداف كفاحه هي منذ البداية الدكتاتورية الأممية للبروليتاريا والتحويل الشيوعي للمجتمع ، وهو تحويل لا يمكن تصوره الا على صعيد الكرة الأرضية بأسرها ، **لأن الرأسمالية لم تنشأ في أوروبا إلا لأنها قد قامت بتسخير جميع القارات** .

فالتجربة النضالية التي خاضتها جميع أجيال البروليتاريا ، وكل ما انجبته الأمم من بروليتاريين يُغذي الأرث التاريخي والأممي للحزب الشيوعي الذي عليه ان يتولى تنمية اثره في النضالات المقبلة وأن يساهم هكذا في تحقيق النصر النهائي على المجتمع البرجوازي .

٢ ـ عصبة الشيوعيين :

إن عصبة الشيوعيين التي كان « بيان الحزب الشيوعي » الشهير المكتوب من قبل ماركس وانجلس في شباط فبراير ١٨٤٨ ، يشكل برنامجها كانت عبارة عن سبق رائع وهام لنشأة الحزب الأممي .

فقد كان الوضع حينئذ على اعتاب التغيير الثوري الهائل الذي احدثته الرأسمالية في أوروبا ، فالطبقات البرجوازية كانت ما تزال تتنازع السلطة مع الملكيات الإقطاعية ، لكن البروليتاريا كانت قد بيّنت منذ ذلك الحين ، خاصة مع الانتفاضة الباريسية التي حصلت في حزيران ١٨٤٨ ، بأن المعركة بين الديمقراطية البروليتارية والديمقراطية

البرجوازية كانت أمراً محتوماً .

والعصبة التي كانت متواجدة في المانيا بشكل خاص ، ساهمت بحماس في الثورة المضادة للاقطاع أملاً منها كما قال ماركس « **بجعل الثورة دائمة** » الى أن تكون الطبقة العاملة قد جمعت بين يديها مقاليد السلطة في أهم البلدان . وقد استمدت من الصراعات الطبقية التي جرت بين ١٨٤٨ ـ ١٨٥١ الدرس التالي :

أن البروليتاريا لا يسعها أن تستخدم آلة الدولة كما هي لحسابها الخاص ، بل عليها أن تبني دولتها الخاصة على أنقاض تلك الدولة ، واشارة منها الى السلطة السياسية الثورية والإرهابية التي تبنيها الطبقة العاملة المنتصرة ، خلّفت لمن سيأتي بعدها استعمال تعبير « دكتاتورية البروليتاريا » .

غير أن العصبة لم تصمد أمام المناوشات التي أثارتها الثورة المضادة فإصطدم خلالها **دعاة التحضير الثوري** ، ماركس وانجلز ، **ودعاة الإنقلابات الثورية** ، الذين كان ضعفهم يعادل سخاؤهم ، فإنحلت العصبة عام ١٨٥٢ .

٣ ـ رابطة الشغيلة الأممية (الأممية الأولى) :

اعلنت الرابطة الأممية للشغيلة في لندن عام ١٨٦٤ . وكان هدفها أن تجمع في بوتقة واحدة جميع التنظيمات الطبقية . إذ كان المقصود أن يصار الى توحيد النظرية والممارسة في حمأة النضال المشترك . والواقع أن هذين التعبيرين كانا ما يزالان منفصلين نظراً للمواجهة القائمة بين

الشيع الإشتراكية والحركة السياسية حيث كان ما يزال أمام البروليتاريين والديمقراطيين البرجوازيين طريق مشترك يمكن السير عليه ، وحيث أن هؤلاء الاخيرين كانوا يدعون تمثيل الأولين وكانوا يتوصلون في اغلب الأحيان الى ذلك .

فالأممية الأولى لعبت دوراً بارزاً في صهر نضال العمال من مختلف القوميات، وسجلت في أنظمتها الداخلية « **أن التحرير ليس مشكلة محلية أو قومية بل هو مشكلة اجتماعية تشمل جميع البلدان التي يوجد فيها نظام اجتماعي حديث** » ودعت الرابطة بنشاط وبوساطة التضامن الأممي البروليتاري مختلف حركات الطبقة العاملة فضلا عن النضالات القومية الثورية التي كانت رحاها دائرة في ذلك الحين ، لا سيما تلك التي استهدفت تحرر بولونيا وايرلندا .

وعملت الأممية الأولى بشكل فعال على تجاوز التضاد الذي كان موجوداً بين نضال العمال الإقتصادي والنضال السياسي ، فصهرتهما في نضال عام ثوري ضد الرأسمالية بحيث أن التنظيمات الإقتصادية بوصفها مراكز حياة بروليتارية يغدو بوسعها أن تتحول الى رافعات ثورية لدعم هذا النضال .

غير أن التعاون بين التريديونيونية الإنكليزية والتيار الفوضوي والماركسية ، لم يكن بوسعه أن يعمّر اكثر من كومونة باريس عام ١٨٧١ ، التي أكدت من جميع الأوجه مواقف الماركسية والواقع أن تجربة الكومونة قد اكدت ضرورة بناء الدولة البروليتارية المؤقتة على انقاض الدولة البرجوازية ، كما أكدت هزيمة الكومونة « إن البروليتاريا في نضالها

ضد السلطة الموحدة التي تقيمها الطبقات المالكة لا يسعها أن تقوم بدورها كطبقة إلا إذا تشكلت في حزب سياسي مستقل بمواجهة جميع الأحزاب الأخرى التي تشكلها الطبقات المالكة » كما قال ماركس في انظمة ١٨٧٢ .
ومن ثم لم يكن بوسع الحزب البروليتاري إلا أن ينغلق على هذه المواقف حيث أصبح من المستحيل وضع اجراءات انضباطية تستطيع أن تضمه مع التريديونيونية التي تنكر النضال السياسي والفوضوية التي تنكر الحاجة الى الدولة والحزب ، لذا توقفت الرابطة الأممية للشغيلة عن كل نشاط في عام ١٨٧٢ .

(٤) الأممية العمالية الإشتراكية (الأممية الثانية) :

إن حياة التنظيمات البروليتارية ونموها لم يتوقفا في بلدان عديدة ، ففي عام ١٨٩٩ جرى اعلان الأممية الاشتراكية في باريس لتنسيق وتوحيد عمل مختلف الفروع القومية . وقد ادى نشاطها الى انخراط قوميات جديدة في حركة تحرر الطبقة العاملة . كما لعبت دوراً حاسماً في تنظيم الطبقة العاملة في الحقل النقابي واقرت التظاهرة الأممية الأولى لأول أيار بمثابة تخليد لذكرى ضحايا القمع الرأسمالي والنضال من اجل يوم عمل من ٨ ساعات ، فجعلتها بهذا وسيلة قوية من وسائل نضال الطبقة العاملة وتمرسها . فهذه الحركة الواسعة من التنظيم الطبقي كانت بدورها حافزاً فعالاً من حوافز الحركة السياسية الطبقية .

في ذلك الحين كانت البرجوازية الأوروبية والامريكية الشمالية قد استكملت مرحلتها الثورية وصارت تعمل لقولبة الدولة وتكييفها من فوق ، وفق حاجاتها المخصوصة . وفي النضالات من اجل

الاصلاحات ، كافحت الأممية العمالية في البرلمانات البرجوازية من اجل انتزاع العمال من براثن نفوذ الراديكاليين البرجوازيين ، ومن اجل اتخاذ البرلمانات وسيلة للتحضير الثوري ضد الدولة الرأسمالية .

وفي ذلك الحين أيضاً أخذت القوى الإنتاجية ، التي اصبحت تضيق ذرعاً بحدود الدول القومية ، تدفع البرجوازيات الأوروبية والامريكية على خطى البرجوازية الإنكليزية . ثم جرّت معها روسيا واليابان شبه الاقطاعيتين وانطلقت لغزو العالم الذي اكتمل تقسيمه الاستعماري منذ السنوات الاولى للقرن العشرين . فهذا الوضع قد انعكس على الحزب البروليتاري بنشوء موجة اولى من الموجات الانتهازية التي حملت لواء التحريفية الاشتراكية ـ الديمقراطية . فقد كان هذا التيار يرى أن الاقتراع العام وانتزاع الحقوق والاصلاحات من شأنها أن تؤدي الى انتزاع الدولة تدريجياً من سيطرة البرجوازية ، وإلى تحويل الرأسمالية سلمياً نحو الاشتراكية عندئذ خاض الماركسيون الراديكاليون نضالاً ضد التحريفية ، ودافعوا عن الرؤية الثورية الماركسية ، **وأدانوا التكتلات الانتخابية والاشتراك بالحكومات البرجوازية** .

على هذا النحو تعرقلت مسيرة الموجة الانتهازية ، غير أن تقدم البرلمانية البرجوازية وتفاقم الفساد الإجتماعي الذي اتاحته بعض الفئات المتساقطة من موائد الولائم الإمبريالية اديا الى تخدير الزعماء البروليتاريين والبيرقراطيات العمالية في شرائح متزايدة الإتساع بينما كانت التنظيمات السياسية والإقتصادية للطبقة العاملة في أوروبا وأميركا الشمالية تنمو بصورة منقطعة النظير .

وقد أدى ذلك الى إضعاف نضاليتها وعجزها المتزايد عن النضال الثوري . وكان ان نمت بوجه هذا التيار الإصلاحي تيارات عمالية معادية للبرلمانية ذات نزعة نقابية جاءت بمثابة الرد على انتهازية « الماركسية الرسمية » لكنها هي بدورها سقطت في اشكال اخرى من الإنتهازية ذات الطراز الفوضوي .

لقد خاض اليسار الماركسي الثوري في بلدان عديدة معركة لا هوادة فيها ضد هذه التيارات الإنتهازية التي انتهى بها الأمر ، رغم ذلك ، الى أن تصبح مهيمنة في الأممية وقد كافح هذا اليسار ضد الفساد الاستعماري وضد الغباء البرلماني والكتل الإنتخابية ودافع عن أولوية دور الحزب الطبقي قياساً على التنظيمات الأخرى التي لا غنى عنها في النضال العمالي . ورغم كل ذلك كانت الأممية بالنسبة للعمال وضغط اليسار الماركسي وسيلة قوية من وسائل التثقيف الأممي المناهض لنزعات العسكرة والتجييش .

وهكذا عندما نشبت الحرب الإمبريالية في آب ١٩١٤ انهزم الزعماء الانتهازيون ، كل امام برجوازيته ، عبر وقوعهم في الإشتراكية الإمبريالية والإشتراكية الوطنية وقد كانت التشديدات الثورية التي نصت عليها قرارات مؤتمر بال عام ١٩١٢ ما تزال ترن اصداؤها في آذان البروليتاريين ، تلك القرارات التي كانت تدعو الطبقة العاملة الأممية للرد على استعدادات الحرب الامبريالية ، بأن تشرع بتحضير ثورتها الخاصة .

لقد عمد الزعماء الاشتراكيون الديمقراطيون إذن الى التبشير علناً

بالدفاع عن الوطن في الحرب الإمبريالية واشتركوا في جهود التجييش ، فسلموا البروليتاريا التي تبلبل وضعها تماماً ، الى ايدي مختلف رؤساء الأركان . غير أن الماركسيين الثوريين والأمميين ، كالبلاشفة في روسيا والسبارتاكيين في المانيا ، واليسار الماركسي في إيطاليا ، تابعوا خلال الحرب الإمبريالية معركتهم الحازمة تحت شعار الإنهزامية الثورية والثورة البروليتارية .

٥ ـ الأممية الشيوعية (الأممية الثالثة) :

إن الويلات الرهيبة التي سببتها الحرب الإمبريالية سرعان ما أثارت ردود فعل بروليتارية وجدت في روسيا القيصيرية ـ حيث كانت الطبقة الفلاحية تقوم بحركتها أيضاً ضد بقايا الإقطاع القوية ـ ثغرة تنفذ منها للاستيلاء على السلطة السياسية .

لقد برهنت ثورة اكتوبر عن صحة المعركة التي خاضها اليسار الماركسي الثوري ضد الإشتراكية ـ الديمقراطية الإصلاحية ، والإشتراكية الإمبريالية والإشتراكية الوطنية . وقد اكدت هذه الثورة كل التأكيد على ضرورة اتخاذ الحلول الثورية لأزمات الرأسمالية ، كما انها صدقت كل التصديق ، وجهة نظر الانهزامية الثورية . أي وجهة النظر التي تقول بتحويل الحرب الإمبريالية الى حرب اهلية ثورية .

وليس هذا وحسب . فقد أتت ثورة اكتوبر عملياً لتبرهن على ما لم يكن باستطاعة كومونة باريس أن تؤكده إلا سلباً ، وهو أن الانتفاضة والدكتاتورية يقتضيان قيادة الحزب السياسي المركزي الطبقي قيادة لا يشاركه فيها احد، وأن الوصول الى هذا الدور القيادي الذي يضطلع به

الحزب لا يمكن أن يتم الا عبر تحضير طويل يجري في التقلبات والتعرجات الغنية التي يمر بها نضال نظري وعملي لا هوادة فيه .

إن هذا التأكيد التاريخي التام للمبادىء السياسية التي انتهجتها الماركسية في حمأة النضال الثوري ، قد مهدت الأرضية التاريخية تمهيداً نهائياً من اجل تشكيل الحزب البروليتاري والشيوعي بناء على **البرنامج الناجز للماركسية الثورية** .

على هذه القاعدة الصلبة التي ارسيت خلال المؤتمرين المنعقدين في آذار ـ مارس ـ ١٩١٩ وتموز (يوليو) ١٩٢٠ في موسكو ، ولدت الأممية الثالثة (الأممية الشيوعية) ، رغم أنها استقطبت باتجاهها تيارات ثورية غير ماركسية مدفوعة باتجاهات مخلصة وبعدائها للاصلاحية وبكره صادق للاشتراكية الوطنية كجماعات المجالسيين من الطراز الألماني والهولندي ، فضلاً عن التيارات النقابية الانكلوسكسونية او اللاتينية .

لقد كان حماس البروليتاريا لاكتوبر الأحمر شديداً . بحيث أن هناك تكتلات من الوسط ، على رأسها زعماء انتهازيون معروفون ، سرعان ما انجذبت الى الاممية حتى لا تجد نفسها في مواقع متعارضة مع الجماهير ، وحاولت أن تكسب الاممية من الداخل وتجرها الى تصوراتها الانهزامية والتعاونية الخاصة بها كما يدل على ذلك مثال الأغلبية الوسطية في الحزب الشيوعي الفرنسي التي تشكل تجسيداً بليغاً لهذه الظاهرة .

وخلافاً للأممية الثانية التي بقيت عملياً حركة للبروليتاريا البيضاء اللون حاولت الأممية الشيوعية ان تنظم عمال الشرق والمستعمرات بصورة مستقلة ، بحيث تتمكن من توحيد نضال البروليتاريين في

البلدان المتقدمة والجماهير التي ما زالت بالدرجة الأولى فلاحية في البلدان المغلوبة على امرها ، وتصهر هذا النضال في استراتيجية شيوعية عالمية واحدة ووحيدة ضد الامبريالية ومن اجل بناء **الجمهورية العالمية لمجالس العمال والفلاحين** .

فمؤتمر باكو لشعوب الشرق المنعقد في باكو عام ١٩٢٠ كان لحظة تاريخية تعبر عن هذه المحاولة الرائعة .

لقد احسن البلاشفة استخدام طريقة ماركسية وثورية لا غبار عليها من اجل طرح مسائل مهمة في التكتيك والتنظيم ، كما حصل بشكل خاص في المؤتمر الثالث للأممية الشيوعية في موسكو عام ١٩٢١ . كذلك بعث البلاشفة بمهارة في اطار تكتيك الشيوعية الثورية في الاطروحات التي تناولت المسألة القومية والاستعمارية والمسألة الزراعية والمسألة النقابية وهي الاطروحات التي تبناها المؤتمر الثاني المنعقد في موسكو عام ١٩٢٠ غير ان البلاشفة لم يكن بوسعهم أن يقدموا جميع الحلول التكتيكية الفعالة لبلدان الديمقراطية القديمة إذ أن تجربتهم المتعلقة بهذه البلدان كانت غير كافية بالطبع وفي غياب المساهمة الإيجابية من قبل الأحزاب الشيوعية الغربية فيما عدا التيار اليساري في الحزب الشيوعي **الإيطالي الذي لم يكن له الا وزن تاريخي ضئيل ، فإن البلاشفة اخذوا يعممون تجاوبهم والطرائق التي استعملوها في روسيا شبه الاقطاعية وبدأوا يحاولون تطبيقها على البلدان الرأسمالية التي دخلت مرحلة الشيخوخة . وقد تبين مدى خطورة هذه الممارسة بعد المؤتمر الرابع الذي عقدته الأممية الشيوعية ، في الوقت الذي كانت روسيا تعاني فيه من عزلة مأساوية تماماً .**

ومع تراجع المد الثوري في أوروبا ، استغلّت التيارات الوسطية الغربية هذه النواقص وهذه الغوامض التكتيكية والتنظيمية لكي تحاول جذب الأممية باتجاهها ، فكانت الأممية والحالة هذه حيزاً تتناهبه قوى نابذة متزايدة ، وقد حاولت قيادة الأممية ان تصمد في وجه هذه الاتجاهات عبر تكتيكات مرتجلة تفاقم خطرها يوماً بعد يوم مثال على ذلك نشأة الجبهة البروليتارية المتحدة ، فقد صير الى اتخاذ هذا التكتيك بالأصل من اجل انتشال الطبقة العاملة من نفوذ الاشتراكيين الديمقراطيين وانطلاقاً من نضالات يمليها الدفاع عن البروليتاريين في وجه الهجمة الرأسمالية ، غير أن هذا التكتيك ما لبث أن تمدد ليشتمل عام ١٩٢٢ الأصعدة الحكومية كذلك ، ونودي به لاتباعه على الأرضية البرلمانية وليس على أرضية الانتفاضة .

كان هذا يبرر بحق إذاً تحفظات اليسار في الحزب الشيوعي في إيطاليا الذي كان رغم موافقته التامة على الإطار العام لهذا التكتيك ، قد حرص كل الحرص على المطالبة بوضع حدود دقيقة لتطبيقه تلافياً لكل التأويلات المسيئة بتفسيره .

وبدأ بعدها يتم الانتقال من منهج الى آخر ، وصير الى التخلي عن المناهج التي تبين خطأها دونما نقد معمق وكاف بل بمجرد اثارة تغير الظروف . فهكذا كانت الحال مثلاً في المؤتمر الخامس بعد كارثة اكتوبر ١٩٢٣ في المانيا ، حيث وصلت الجبهة السياسية المتحدة مع الوسط الى حد الإشتراك بحكومة ساكس ـ تورنغ (العمالية) ، مما ترك بذلك للاشتراكيين الديمقراطيين زمام المبادرة في كل نضال بروليتاري بل في الانتفاضة أيضاً . فاضطر الحزب الشيوعي الألماني الى اعادة النظر في

هذا الامر في آخر لحظة ، مما أثار تدهوراً خطيراً في معنويات الطبقة العاملة . وهكذا صير الى ادخال الفكرة القائلة بجواز تغيير المبادىء تبعاً لتغّير الأوضاع .

وظنت قيادة الأممية أن بوسعها الإنصراف الى المناورة باتجاه التيارات التي كانت قد انفصلت عنها ، كالمستقلين اليساريين في المانيا أو غيرهم من التيارات القومية في أيطالياً .

ففي الحين الذي كان انحسار المد الثوري يقتضي دقة في الاختيار وتطهيراً حازماً للاحزاب ، ظنت الأممية أن من واجبها توسيع نفوذ هذه الأحزاب عن طريق فتح صفوفها . وهكذا شلت عمل الأحزاب المعنية ومحت الحدود مع احزاب الوسط بصورة تدريجية ، وذلك حتى قبل أن يتم في المؤتمر الخامس تكريس « الأحزاب المناصرة » المزعومة والتي سيكون الكيومنتانغ واحداً منها ، أو أن تمضي في الغزل مع الفلاحين الديماغوجيين من امثال « راديتش » في كرواتيا أو « لافوليت » في الولايات المتحدة .

كان لا بد لهذه السلسلة من المواقف المرتجلة والغير مدروسة أن تترافق بصورة طبيعية مع « الإرهاب الايديولوجي » والضغوط البيروقراطية التي مورست بحق القطاعات المتمردة أو المتبلبلة فجاءت لتفاقم من المظاهر المزعجة التي بدأت تلوح بخطر انتهازية جديدة .

إن أخطاء الأممية الشيوعية قد اضعفت الى حد كبير الحزب البروليتاري أما الضغوط التي مارستها التيارات الوسطية ذات المضمون الديمقراطي والإشتراكي ـ الشوفيني في الغرب ، والقوى الاجتماعية التي

كانت تسعى في روسيا الى حرف الدولة البروليتارية عن الثورة العالمية ، وجعلت من نفسها رائدة التنمية القومية للقوى الرأسمالية التي بدأت تتحرك ، ساعية والحالة هذه الى حصر الثورة بأفق سياسي برجوازي رأسمالي لم تستطع أن تتخطاه في حقل الإقتصاد .

وقد تضافرت هذه القوى تحت لواء الستالينية . وكانت نظرية « الإشتراكية في بلد واحد قد احرزت النصر عندما عمدت الأممية الى تسليم الحركة الثورية العظيمة التي قام بها عمال شنغهاي وكانتون والفلاحون الصينيون في هونان ، الى الكيومنتانغ ليرتكب بحقها مجازر ١٩٢٦ - ١٩٢٧ ، كما حصلت في ذلك الوقت أيضاً حركة الاضراب الرائعة التي قام بها عمال المناجم الانكليز عام ١٩٢٦ وسلمت دون قيد ولا شرط لتخريب الزعماء الاصلاحيين والتريديونيين .

منذ ذلك الحين اصبحت الأممية بعد طغيان الاتجاه الستاليني عليها اداة في يد الدولة الرأسمالية الروسية . وكما استعملت هذه الدولة ، صير الى استعمال الأممية من اجل مكافحة وابادة مختلف اتجاهات المعارضة المحلية والأممية التي وقفت في وجه هذه السياسة المضادة للثورة . أما ما تبقى من بقاياها بعد تفسخها فقد صير الى تصفيتهم عن بكرة أبيهم عندما وافق ستالين عام ١٩٤٣ على حل الأممية لقاء الطائرات التي وعده بها روزفلت ، وذلك على مرأى ومسمع من جميع الحمقى الذين كانوا يتغنون بالنضالات الديمقراطية والوطنية ، حيث صير الى التضحية بعشرات الملايين من البروليتاريين في سبيل الدفاع عن الرأسماليات الديمقراطية ، أي من أجل أقوى البلدان الامبريالية واثبتها وضعاً وأشدها بأساً .

أن الموجة الانتهازية الجديدة التي استتب لها النصر عام ١٩٢٦ وأدت الى تدمير دائم لكل حركة بروليتارية ، قد جمعت أسوأ المواصفات التي اتصفت بها كل الموجات الانتهازية التي سبقتها .

فقد استند ستالين الى العادة السيئة التي اتبعتها الأممية ، والتي تقضي باكتشاف اوضاع جديدة كل ستة أشهر تبرر التذبذبات التكتيكية التي يتسع مداها يوماً بعد يوم . وتصور التكتيك البروليتاري وكأنه تعاقب انعطافات مفاجئة تطرأ على المبادىء نفسها أو بمثابة الحصيلة التي تنجم عن فكر مكيافيلي عبقري يتحلى به زعماء ملهمون ومتزلفون باذلال ، وذلك من اجل تمييع تكتيك المبادىء والبرنامج تمييعاً كاملاً .

لقد اعتمدت الستالينية على المناورة تجاه التيارات الأخرى وعلى الضغوط البيروقراطية وقرنت الى حد كبير بين انفتاح الحزب وبين الانفلاش الديمقراطي على أي كان ، فضلاً عن لجوئها الى الوعظ القسري والإذلال على رؤوس الاشهاد والفساد والإرهاب الانضباطي والتصفية الجسدية من اجل القضاء على الحرس الثوري القديم وفرض سياستها البرجوازية الرأسمالية ، في نفس الوقت الذي عملت فيه على تقديم نفسها بوصفها مكملة ووريثة لاممية لينين .

وقد بررت جميع الجبهات الشعبية والوطنية ، أي عملية الحاق للحزب البروليتاري بالأحزاب البرجوازية ، ليس فقط في البلدان التي تلعب فيها البرجوازية دوراً تقدمياً من الناحية التاريخية ، وهذا بحد ذاته أمر خطير ، بل وأيضاً في البلدان التي كانت الرأسمالية تسيطر عليها وتسود فيها منذ عشرات السنين وبلغ الأمر بها لتصوير الفاشية بوصفها

نوعاً من منوعات الردة الإقطاعية لا اكثر ولا أقل .

ولم تتردد الستالينية بالتمرغ في تعاون مكشوف مع الدول الرأسمالية في الحرب الامبريالية ، ملحقة الحركة البروليتارية في الديمقراطيات الغربية وفي بلدان اميركا اللاتينية شبه المستعمرة ، فضلاً عن حركة التحرر من الاستعمار التي كانت تناهض الامبرياليين الفرنسيين والانكليز في آسيا وافريقيا ، ملحقة هؤلاء جميعاً بمصالح التحالف بين الامبرياليات الديمقراطية والاشتراكية الروسية المزيفة ضد امبرياليات المحور .

هكذا سقطت الستالينية الى الحضيض الذي سقطت فيه الاشتراكية الديمقراطية وموجتها الانتهازية عام ١٩١٤ ، لكنها مع سقوطها هذا إستمرت الستالينية باستخدام التعابير والألفاظ الثورية وبقيت تتكلم لغة العنف والديكتاتورية الصالحين لخدمة التغيرات الرأسمالية العاصفة التي كانت ما تزال تتمتع بطابع ثوري في روسيا والشرق ، فاستثمرت بذلك مقداراً من التعاطف مع ثورة اكتوبر ، من قبل بروليتاريا تتبلبل أوضاعها يوماً بعد يوم .

٦ ـ النضال ضد تدهور الأممية وضد الستالينية :

لا شك في ان المناورات التكتيكية والتنظيمية التي قام بها قادة الأممية الشيوعية قد زادت من ردود الفعل ذات الطابع النقابي والمجالسي والمعادية للحزبية اجمالاً في صفوف الفئات الكفاحية من البروليتاريا . وكانت قد ظهرت ردود الفعل هذه في وجه الانتهازية الاشتراكية

الديمقراطية وأحزاب الوسط . غير أن من بين التيارات التي ناضلت ضد تدهور الأممية هناك تياران فقط ناضلا على ارضية الماركسية .

لقد ظلت معارضة اليسار الروسي التي ينتمي اليها تروتسكي أسيرة الأخطاء التكتيكية والتنظيمية التي وقعت بها الأممية، والتي يتحمل قادة المعارضة جزءاً من مسؤولياتها. ورغم المواقف البطولية كتلك التي خيضت «ضد الاشتراكية في بلد واحد» أو ابان المسألة الصينية، لم يستطع قادة هذه المعارضة أن يحافظوا على موقف مستقيم تماماً. بل أن الأمر انتهى بهم إلى إحداث تصدّع جدي في المبادىء التي بنيت عليها الأممية.

فالتروتسكية المتفسخة التي تدعي الانتماء إلى المعارضة المذكورة عبر ما يسمى بالأممية الرابعة التي تشكلت دون مرجع مبدئي صلب، والتي لم تحتفظ من تروتسكي إلا تنظيرها لأخطائه ولمناوراته، قد أصبحت انتهازية جامحة الخيال مطلقة العنان وصفّت جميع الأسس البرنامجية والمبدئية التي وضعتها أممية لينين والماركسية. وها أن مختلف فروعها تتأرجح بين التبعية والانحياز للدولة الامبريالية الروسية أو لمختلف الأحزاب الامبريالية الوطنية أو لمختلف الحركات الديمقراطية البرجوازية الصغيرة الآخذة بالانتشار.

أما التيار الثاني الذي ناضل على أرضية ماركسية صحيحة فهو يسار الحزب الشيوعي لايطاليا، وقد كان هذا اليسار يتفّق تمام الاتفاق مع البلاشفة حول الأسس النظرية والبرنامجية والمبدأية التي صاغتها الأممية، فضلاً عن اتفاقه معها حول تأطير مسائل التكتيك والتنظيم وحول الحاجة إلى أقصى حدود للمركزية الأممية.

وقد تدخل اليسار في المؤتمر الثاني المنعقد في موسكو من أجل فرض تبنّي الشرط الواحد والعشرين للقبول في الأممية والذي كان يتشدد حول شرط الانتماء وأسسه. وتجادل مع لينين حول تكتيك البرلمانية الثورية. إذ لم يكن اليسار الايطالي من أنصار هذه البرلمانية في بلدان الديمقراطية القديمة، وذلك ليس لأسباب مبدأية بل من أجل تحضير البروليتاريا والحزب للثورة. وعلى الصعيد المباشر من أجل إتاحة المجال في أوروبا أمام **أختيار أفضل للأحزاب الشيوعية الناشئة**.

في المؤتمر الثالث تناولت انتقادات اليسار الايطالي تلك الصيغة الملتبسة حول «اكتساب الأكثرية». وهي الصيغة التي أطلقت على ضرورة اكتساب نفوذ في أوساط الجماهير، ثم ما لبثت انتقاداته أن تناولت بعد عدة أشهر، التطبيقات التي ينبغي ممارستها بشأن تكتيك **الجبهة البروليتارية المتحدة** والتي كان يوافق على حيثياتها لكنه كان يرى وجوب اقتصارها على إطار **تنظيمات النضال من أجل الدفاع الفوري**، مستثنياً منها كل تكتل **حزبي سياسي** في مواجهة الدولة الرأسمالية.

لم تكن الأسباب التي أملت على اليسار مواقفه أسباباً أخلاقية أو صبيانية، كتلك التي أملت مواقف التيارات من النوع المجالسي والتي وجدت نفسها خارج الماركسية، بل أن الذي أملى عليه هذه المواقف هو حرصه على اختيار قوى الحزب اختياراً أفضل، وعلى تحضير الحزب والجماهير للثورة تحضيراً أفضل.

فاليسار كان يعتقد كالبلاشفة تماماً أن الاستيلاء على السلطة في المعاقل الرأسمالية من الغرب الامبريالي يصطدم بعوائق أشد من تلك

التي كانت في روسيا القيصرية، هذه المعاقل القديمة التكوين التي **تمرّست** منذ زمن بمكافحة البروليتاريا سواء عن طريق القمع الشرس الدامي أو عن طريق الافساد الديمقراطي وإلحاق **بيروقراطيات عمالية قوية** بجزمتها. لكن اليسار كان يستخرج من هذه **البيّنة** وجوب اتباع معايير تكتيكية وتنظيمية أشد وأصلب من تلك التي كان البلاشقة قد **اتبعوها**. ولا شك أيضاً في أنه لم يكن يقاسم البلاشقة حماسهم الذي جعلهم يعتقدون أنه سيكون من اليسير التخلص من التيارات الوسطية في خضم المد الثوري. هذا المد الذي كانوا يرونه، على كل حال، أقوى مما أسفر عنه في النهاية واقع أوروبا الغربية.

وأخيراً كان اليسار يرى أن وضع جدول موحد ووحيد بالاحتمالات التكتيكية على الصعيد الأممي، هو وحده الذي كان من شأنه أن يمنح «**الحزب الشيوعي الأممي**» الذي يطمح إليه البلاشقة أسس المركزية المستقرة والكاملة العضوية بالفعل، لقد كان ذلك في رأي اليسار شرطاً لتأمين تلاحم **كلّي** في العمل لسائر جسم الحزب العالمي، دون المرور بالآلية الديمقراطية، وفرض بعض القواعد التكتيكية عنوة لضرورة ذلك في القطاعات غير المتجانسة، مما يؤول في النهاية إلى التخلص فعلاً من كل أنواع **الاستقلالية القومية والمحلية في اختيار التكتيك**.

والواقع أن مجريات الأمور ما لبثت أن أكدت بصورة مأساوية، تخوفات اليسار الشيوعي. فبعد أن أبعد عن قيادة الحزب الشيوعي **الإيطالي منذ عام ١٩٢٣** أخذ يناضل بصورة منضبطة وعلى أساس المبادىء المكونة للأممية، ضد الأخطاء المتلاحقة التي أودت بها إلى الكارثة. وكان نفوذه ما يزال كبيراً في أوساط الحزب الايطالي عام ١٩٢٦، حيث قيض

له أن يطرح في «ليون» الموضوعات التي تلخص وجهة نظره. وكانت آخر تظاهرة له في الأممية أثناء الاجتماع الموسع السادس الذي عقدته الهيئة التنفيذية الموسعة عام ١٩٢٦، حيث كان ممثله أماديو بورديغا العضو الوحيد الذي تولى الدفاع عن المعارضة الروسية ونددّ أمام جمع من البيروقراطيين المباعين، بالمسار المميت الذي أودى بأممية لينين.

لقد تشتت هذا اليسار على يد الفاشية وتحت وطأة الضربات التي كالتها له الستالينية، لكنه حرص، في المهجر بشكل خاص، على الاستمرار بنشاط مبني على المبادىء والمناهج التي صنعت قوة الأممية، آخذاً بعين الاعتبار مساهمته الخاصة في النضال ضد انحطاط الحركة الشيوعية العالمية.

وقد جرت محاولة عام ١٩٤٣ لاعادة تكوين الحزب في ايطاليا، لكن أسسه كانت ما تزال غاضمة بشكل لا يمكّن هذا الجهد السخي من أن يؤتي ثماره مباشرة، فحصل انشقاق داخل الحزب في أواخر عام ١٩٥١ من أجل توضيح كامل للأسس المكوّنة لحزب الموجة الثورية المقبلة.

٧ ـ الحزب الشيوعي الأممي :

إذا كانت الذكريات الثورية السمحة لفترة ما بعد الحرب الأولى قد غذت الوهم القائل بأن فترة ما بعد الحرب الثانية ستكون تكرارا للأولى، فان الواقع الرهيب ما لبث أن فرض نفسه بسرعة. فلم يلحق الدمار بالحزب وحده، **بل بكل حركة طبقية منظمة**، وبكل حياة طبقية. فالرأسمالية التي استأسدت بفضل انتصارها الصارخ وبفعل انتقامها

الهائل من المد الثوري الذي عرفته سنوات ١٩١٧ ـ ١٩٢٣، فراحت تفرض حلها المؤقت وقسمتها الامبريالية للعالم واحتلالها للبلدان المغلوبة على أمرها عند أي خطر ينذر بانفجار بروليتاري، مما أشار إلى أن هناك **فترة طويلة من دكتاتورية رأس المال** ستنوء على البشرية.

وليس هناك ما من شأنه أن يفتح ثغرات كافية في الدكتاتورية العالمية التي تمارسها الوحوش الامبريالية الكبرى إلا **أزمة عالمية** جديدة **تأتي بعد دورة جديدة** من التراكم المحموم **للرأسمال**، فتتيح للحركة البروليتارية أن تستعيد انطلاقتها تحت وطأة شروط المعيشة المتدهورة بفعل مرحلة جديدة من عدم الاستقرار الرأسمالي.

كان من الواجب أيضاً أن تتهافت اسطورة «الاشتراكية الروسية» المضادة للثورة حتى يصير بامكان الطلائع التي تتصدى للنضال العام ضد الرأسمالية أن تندفع باحثة عن تراث الشيوعية الثورية الحقة.

فإذا كان قد تم استخلاص دروس الثورة المضادة وأعيد بناء الأسس النظرية والبرنامجية لحزب المد الثوري المقبل، فان ذلك قد حصل في ظروف صعبة للغاية أي في غياب دفق ثوري جماهيري كذاك الذي رافق احياء النظرية الماركسية على يد لينين، ثم إعادة تكوين الأممية بين ١٩١٩ و ١٩٢٠. وعندما شرع الحزب في التصدي لهذه المهام كان يرى في الأفق إذا فترة طويلة من الانحطاط البروليتاري.

إن الموضوعات الأساسية التي كتبت عام ١٩٥١ تحدد محاور إعادة البناء المتكامل للماركسية، وتستعيد الأسس المذهبية التي وضعت في الأعوام السابقة وتتبنى الموضوعات البرنامجية والمبدئية التي طرحتها الأممية

الشيوعية، ومساهمة اليسار الشيوعي الايطالي بالأممية الشيوعية بين ١٩٢٠ و١٩٢٦، فضلاً عن التقييم الديناميكي لربع القرن الذي تلا هذا التاريخ. انطلاقاً من هذه الجعبة، تمكن الحزب الذي كان يقتصر حينئذ على حفنة من المناضلين، من أن يتخذ وجهته الحازمة والمتجانسة التي ما زال يتابع على ضوئها نشاطاً منتظماً ومستمراً، مضطلعاً بمجمل مهامه، مهما كان النجاح المباشر الذي قد يتوقعه من هذا الاضطلاع.

ويمكننا القول أن الجزء الأساسي من النشاط قد انصبّ حتى أواخر الستينات على إعادة بناء دؤوبة للخطوط الكبرى التي تتألف منها النظرية الماركسية في جميع المجالات، عبر مطبوعات صحفية في فرنسا وإيطاليا، وعلى التأويل التاريخي للأحداث، لا سيما تفسير الحركات الثورية التي هزّت القارات الخاضعة، ثم على الدفاع عن المنظور الذي يرى أن الامبريالية تسير نحو الكارثة. فضلاً عن الدفاع عن جميع الأسلحة النظرية والسياسية والتكتيكية والتنظيمية التي تشكل جزءاً من التراث الشيوعي.

لم يكن من واجب الحزب وحسب أن يقوض الادعاءات الخبيثة التي روّجها خلفاء ستالين وزعموا بها أنهم عادوا إلى الماركسية بعد ١٩٥٦ وتخلوا عن الثرثرة الستالينية حول العنف، بل كان من واجب الحزب أيضاً أن يناضل ضد الردات التي وقفت في وجه هذا التطور من مواقع معادية للماركسية، سواء كانت ادعاءات التيارات التي تحاول اغناء الماركسية عن طريق ضخها ببعض الفوضوية القديمة أو الاستقلالوية المناهضة للمركزية، أو عن طريق تزويدها بدم جديد من مدارس الرومنسية البرجوازية الصغيرة التي حملتها الموجة الثورية

المناهضة للامبريالية كالغيفارية مثلاً، كما كان من واجبه أن يقف في وجه الانتهازية الماوية، هذا الخليط من الستالينية المتجددة ومن الديمقراطية البرجوازية الصغيرة الكلاسيكية. وكان من واجبه أيضاً أن يدافع عن الأسلحة الشيوعية ضد ورثة التروتسكية المتهافتين وضد جميع منوعات العفوية الاحتجاجية التي تولدت في الديمقراطيات الغربية بعد أولى إمارات الازدهار في فترة ما بعد الحرب.

في السبعينات أتاحت الأوضاع أن يكون اشتراك الحزب بالنضالات العمالية أقل تقطعاً وأكثر انتظاماً، كما مكنه من نشر شبكته الأممية وصحافته بلغات مختلفة. وقد رافق هذا النشاط نضال نظري، ليس فقط ضد جميع التيارات المذكورة أعلاه بل أيضاً ضد تيارات جديدة مثل النضال ضد العفوية المناهضة للحزبية، التي ولدت كردة فعل على مساومة يسار ١٩٦٨، أو ضد الارهاب الفردي الذي يأتي في أوروبا كردة فعل على تأخر النهوض الطبقي العام والذي يتخذ صيغة نفاذ صبر «متأجج» لدى الطبقات المتوسطة وأكثر فأكثر لدى العمال. وقد شمل النضال النظري أيضاً، التيارات التي ترافق جهود النضال المستقل لدى بروليتاريا بلدان الرأسمالية الناشئة، لكنها ما زالت تحتفظ بأجزاء من البرنامج الديمقراطي والوطني القديم الذي خيضت تحت لوائه النضالات المعادية للامبريالية في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

القسم الثاني

أهداف الثورة الشيوعية العالمية وسبلها ووسائلها

أولاً ـ موقف الحزب من الاتجاهات السياسية الكبرى للامبريالية :

أ ـ الثورة البروليتارية والإشتراكيات المزيفة :

وصل البلاشفة إلى السلطة في أكتوبر ١٩١٧ بناء على موجة ثورية كانت مهماتها الاقتصادية الأساسية مضادة للاقطاع، أي أنها لم تكن مضادة للرأسمالية بعد. ومع ذلك فقد كانت الدولة بروليتارية وكانت سياستها شيوعية ثورية حقة لا سيما من حيث النضال ضد الحرب الامبريالية ومن حيث مساعدة الثورة العالمية.

وبانتظار انتصار الثورة البروليتارية والشيوعية في أوروبا الغربية وتمكنها، حسب تصورات لينين بالذات، من تقديم الوسائل التقنية الضرورية للفلاحين الروس بحيث يصبح بوسعهم الانتقال إلى العمل المشرّك، وتأمين شروط التحول الاشتراكي، لم يكن بوسع البلاشفة إلا أن يتحكموا بالنتائج الاجتماعية لنمو الرأسمالية في روسيا عن طريق إشرافهم على الدولة البروليتارية.

وعندما تمكنت الثورة الستالينية المضادة من تشويه قيادة الحزب الشيوعي للدولة السوفياتية، حطمت بذلك كل إمكانية في توجيه نمو

المجتمع الروسي باتجاه الشيوعية وسلمته إلى قوى الرأسمالية الوطنية الجامحة التي كانت موجودة في المؤسسات الصناعية التابعة للدولة وفي الانتاج الصناعي أو الزراعي الصغير.

ولكن إذا كانت الثورة المضادة قد قضت على جميع المكاسب البروليتارية والشيوعية التي حققتها ثورة اكتوبر، **فانها لم تتعرض للتحول الرأسمالي الثوري في روسيا** إذ تابع مسيرته بوتيرة صاخبة مع التصنيع الستاليني، قبل أن تتمكن الرأسمالية بعد بلوغها سن الرشد، من إرغام خلفاء ستالين على اتخاذ إصلاحات ليبرالية معدة لتكييف آلية الاقتصاد العالمي مع متطلبات المنافسة الدولية.

وفي شرق أوروبا لم تكن «اشتراكية» الديمقراطيات الشعبية إلا شكلاً برجوازياً، مرتبطاً بهيمنة الامبريالية الروسية على مناطق نفوذها التي كانت من نصيبها بعد اتفاقيات تقسيم العالم في يالطا.

وفي الصين كما في فيتنام وصلت إلى الحكم أحزاب تدعي الشيوعية حملتها إليه ثورات مناهضة للامبريالية والطبقات القديمة ما قبل الرأسمالية. ولكن رغم روعة هذه الثورات ورغم أهميتها بالنسبة لتطور البشرية إلا أنها لم تستطع أن تتخطى المرحلة الوطنية الديمقراطية (المرحلة البرجوازية)، نظراً لأن الثورة الستالينية المضادة كانت قد قضت على كل حركة بروليتارية مستقلة. ولا نرى لزوماً للتوقف كثيراً أمام الحالة الكوبية أو غيرها من البلدان التي حصلت فيها ثورات برجوازية، تمت على كل حال من فوق وظنت أن بوسعها أن ترفع لواء الاشتراكية الوطنية.

ليس من الممكن أن يحدث أي تحول تدريجي ولا أي انتقال إلى الاشتراكية، في أي بلد من بلدان العالم، بدون أن يسبق ذلك **إنشاء الدكتاتورية البروليتارية على أنقاض الدولة القائمة**.

٢ ـ الوهم الرجعي حول العودة إلى الأشكال الليبرالية للرأسمالية :

في النصف الأول من القرن العشرين شهد تطور الرأسمالية في الميدان الاقتصادي ظهور نقابات أرباب العمل التي تضم أصحاب العمل بهدف احتكاري، كما شهد محاولات ومساعي للاشراف على الانتاج والتبادلات وتوجيهها وفقاً لخطط مركزية، وقد وصلت هذه المساعي إلى حد تسيير قطاعات بكاملها من الانتاج من قبل الدولة. كما شهد النصف الأول من هذا القرن في الميدان السياسي تعزيز طاقات الدولة البوليسية والعسكرية والأشكال **الاستبدادية** من الحكم. إن هذه الأنماط من التنظيم الاجتماعي **لا تشكل أنماطاً جديدة للانتقال** من الرأسمالية إلى الاشتراكية، ناهيك بأنها ليست أيضاً عودة إلى أنظمة سياسية ما قبل برجوازية، بل المسألة تتعلق هنا بأشكال محددة من تسيير السلطة والدولة تتولاها أشد قوى رأس المال تطوراً بصورة مباشرة ومطلقة.

من هذا الاتجاه الذي تجلى بكل فظاظته، بالأمس مع الفاشية التاريخية، والذي يوجد اليوم على شاكلة الدكتاتوريات «الوطنية ـ الشيوعية» في بلدان أوروبا الشرقية وهو كذلك يجد أوج ازدهاره في ديمقراطيات الغرب المصفحة، وريثة الفاشية. ان التعددية

الخبيثة في هذه الديمقراطيات تعتمد على وجود أحزاب عمالية برجوازية وطنية كالأحزاب المسماة شيوعية أو الأوروبية ـ الشيوعية (بالنسبة لما يتعلق بأوروبا) فضلاً عن وجود أحزاب ديمقراطية وطنية كالأحزاب الاشتراكية ـ الديمقراطية.

وهذا الاتجاه يوجد أيضاً في البلدان الرأسمالية الناشئة، كتركيا وبلدان أمريكا اللاتينية، بل حتى في بلدان آسيا وأفريقيا التي تحررت منذ فترة قريبة من الوصاية الاستعمارية. فالبرجوازية تلجأ في هذه البلدان إلى أشد أشكال التسيير الاقتصادي مركزية، وتستجمع كل قواها من أجل الصمود في سوق عالمية غدت اليوم في غاية الاشباع. ثم أنها تتمرس وتتدرب في نفس الوقت على أشد أشكال السيطرة السياسية تمركزاً وأشدها استبداداً لكي تظل متحكمة بالجماهير الكادحة المتململة وبالبروليتاريا التي تهدد بأن تكون في غاية الفعالية. هذا في الحين الذي لا يزال المجتمع والدولة فيه يضمان حسب البلدان والمناطق، جملة من العلاقات والتأثيرات الاجتماعية القديمة.

ومن هنا يأتي الدور الكبير الذي تلعبه الدولة، فهي تتدخل في كل الحياة الاقتصادية وتطوع النقابات العمالية التي ولدت من الحركة المناهضة للامبريالية، وتركع الجماهير المستغلة امام الارهاب البوليسي السياسي اليومي. وبما أن مقاليد هذه القوة بحاجة لأن تقبض عليها بحزم أيدي قوة مركزية هي الأخرى، فان الجيش، بكل بنيته المراتبية، هو الذي يكلف عادة بهذه المهمة. فحيث لا تكون الحركة الاجتماعية قد ولدّت بعد حزباً وحيداً، بما هو التعبير النهائي عن هذا الاتجاه، فإن

الجيش هو الذي يحلّ محل هذا الحزب، وإلا فهو يخلق حزباً يكون بمثابة الظل له. فكلما تأخرت الأشكال البرجوازية عن الظهور، كلما تبين أن التدخل الاستبدادي للمراتبية العسكرية أمر ضروري لا غنى عنه من أجل تحقيق هذه الأشكال بصورة تتجنب الانفجارات الشعبية. وكلما اكتملت الأشكال المذكورة، كلما تدعّم وتعزز الاتجاه نحو الطبقات البرجوازية حول هذا المحور الممركز. إن هذه الدكتاتوريات الرأسمالية الآخذة بالنضج تستطيع عندئذ أن تتبرج بأشكال شتى من المشاركة الديمقراطية تؤدي إلى نوع من الحكم العسكري الاستفتائي أو من الدكتاتورية العسكرية التي تتم برضى جميع الأطراف.

إن هذه العملية تستبعد تفسيرات نمو النظام البرجوازي بصورة مسالمة وتقدمية وتؤكد التصورات الماركسية حول التمركز وحول الاصطفاف التناحري للقوى الطبقية. ولكي تتعزز طاقات البروليتاريا الثورية وتتمركز بزخم معادل لزخم التمركز لدى أعدائها لذا عليها أن ترفض المطالبة بالعودة الوهمية إلى الليبرالية الديمقراطية، فضلاً عن رفضها الرضوخ للضمانات الشرعية، وان لا تقبل تاريخياً منهج التحالفات التي يعقدها الحزب الثوري الطبقي لأهداف عابرة، سواء كانت هذه التحالفات مع أحزاب برجوازية وبرجوازية صغيرة، أو مع أحزاب عمالية مزيفة ذات برنامج إصلاحي، وهي تتجه في البلدان التي تشرف الآن على استكمال الدورة البرجوازية الثورية، نحو تصفية هذا المنهج من التحالفات الذي كان من الممكن استعماله شرط المحافظة الحازمة على استقلال الحزب الثوري سياسياً وتنظيمياً، فالبروليتاريا في هذه البلدان إنما تميل للقطيعة مع هذا المنهج كلما بدا لها أن مختلف

التيارات المناهضة للدولة القائمة قد بدأت تجف طاقاتها الثورية في مجال بعد آخر، وغدت بذلك عاجزة عن الثبات في ساحة النضال الثوري.

٣ ـ أكذوبة المساواة بين الأمم في النظام الرأسمالي :

في بداية القرن العشرين كان تعميم التروستات الرأسمالية الكبرى وتداخلها مع الدول القومية، قد أدى إلى تقسيم العالم بين حفنة من المجموعات المالية والدول الامبريالية الكبرى. كما أن إعادة النظر في هذا التقسيم أثارت حربين امبرياليتين.

فانتصار الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية لم يضع حداً للاتجاه نحو استلحاق المستعمرات والأمم الصغيرة وإخضاعها لمتطلبات حفنة من القوى الامبريالية الكبرى، بل أدى إلى تعميق عملية تشكل العالم الرأسمالي في مجموعة من الدول الكبرى تفرض سيادتها على الطبقات الكادحة في المراكز وفي المستعمرات وفي أشباه المستعمرات وكل الدول الصغرى في أوروبا.

إن الموجة العظيمة المضادة للامبريالية التي هزت النظام الامبريالي العالمي في السنوات الأخيرة، لم تكن كافية وحدها لمعاكسة هذا الاتجاه، بل أنها، على العكس، شكلت استمراراً له بأن استعاضت عن الأشكال الامبريالية القديمة التي مضى عليها الزمن، بالأشكال الحديثة المتولدة عن التمركز الاقتصادي المتزايد، والتي أوصلت الدول الصغيرة إلى حالة من التبعية متزايدة الاضطراد.

كما أن التناحر بين الكتل الامبريالية الكبرى الذي يحكم على الدول العظمى ان تفرض التضحيات على الدول الأصغر منها، فضلاً عن الاتجاه الطبيعي لدى برجوازيات الدول الصغرى الذي يدفعها للبحث عن حماية الدول الأقوى منها من أجل الدفاع عن امتيازاتها الاجتماعية. إن هذان الأمران يعززان أيضاً العملية المذكورة وهذا التناحر يستبعد هو الآخر والحالة هذه كل التأويلات التطورية لنمو دكتاتورية الرأسمال العالمية ويؤيد بالتالي التصورات الماركسية كل التأييد.

فلكي لا تتعثر الطاقات الثورية في فخاخ الليبرالية البرجوازية، ينبغي على البروليتاريا أن ترفض المطالبة بمساواة مستحيلة بين الأمم في ظل النظام البرجوازي وعليها أن ترفض كل سياسة تجعل من الاستقلال القومي أو من الوحدة القومية للدول التي تكوّنت على أساس عملية رأسمالية ناضجة، هدفاً مندمجاً باهداف الثورة البروليتارية. فعليها إذن أن تعتبر فكرة السعي إلى تحقيق استقلال اقتصادي فكرة مستحيلة وان الحلم البرجوازي الصغير الذي يتوهم تحرير البلدان الصغيرة من الاستغلال الاقتصادي والقهر السياسي الذي تمارسه البلدان الأكبر منها، هو عبارة عن طوباويات رجعية في حال عدم تحقيق الثورة البروليتارية.

فالبروليتاريا الثورية ترفض إذن أي تحالف مع الأحزاب البرجوازية والبرجوازية الصغيرة التي تسعى وراء مثل هذه الأهداف عندما ينقضي الصراع الثوري من أجل تكوين الدولة القومية المناهضة للامبريالية والطبقات القديمة.

٤ ـ معارضة الحكم البرجوازي بلا قيد أو شرط :

لقد قام التكتيك الشيوعي الحقيقي دائماً على معارضة كلية للدولة البرجوازية القائمة، وبالتالي لكل الحكومات البرجوازية في جميع المراحل التي مرت بها سيطرة البرجوازية.

أما في البلدان التي ما زال من الممكن أن تنشأ فيها حكومات من اليسار البرجوازي قادرة من الناحية النظرية، على القيام باصلاحات ديمقراطية ـ وإذن برجوازية ـ تهم البروليتاريا، فان الموقف الوحيد الذي يمكن اتخاذه من زاوية التحضير الثوري للبروليتاريا يقوم على **انتزاع هذه الاصلاحات**، شأنها شأن أي تنازل اقتصادي أو سياسي، عبر **النضال ضد الحكم القائم**. ثم أن ما يدعو إلى المزيد من التشبث بهذا التكتيك الحازم في بلدان الرأسمالية المكتملة والامبريالية الشائخة، هو أن الحكومات البرجوازية قد اعتادت منذ بداية هذا القرن على التخفي وراء قناع عمالي، **بفضل مشاركة الأحزاب الاصلاحية**، من أجل حمل الطبقة العاملة على القبول بالتضحيات التي تقتضيها مسيرة الرأسمال العشوائية. ان اعتبار هذه الأحزاب بمثابة الجناح اليميني من الحركة العمالية خطأ. **فهي تشكل في الحقيقة الجناح اليساري من البرجوازية وتقوم مقام البرجوازية في الأوساط العمالية.**

وإذا كان الحزب الشيوعي لا ينكر أن تكون مثل هذه الحكومات مضطرة، عند الاقتضاء وفي ظروف محددة، إلى تقديم تنازلات للطبقة

العاملة، فان عليه أن يجبرها عبر ضغط بروليتاري شديد، على تنفيذ وعودها. كما أن عليه في نفس الوقت أن يحيط الطبقة العمالية علماً بأن تنازلات هذه الحكومات لا تستهدف تعزيز حركتها، بل ترمي، على العكس، إلى تأمين أفضل الشروط لسيرورة النظام الرأسمالي: وأن تضمن للبرجوازية أبان الأزمة، ما هو أساسي، أي السلطة السياسية، ضد الجهود التي تبذلها البروليتاريا من أجل خلع النير عنها.

إن مثل هذه الحكومات لم تكن يوماً طائعة مختارة في ترك حرية الحركة للبروليتاريا إلا في الحدود التي تغرق فيها هذه الحركة في نوم عميق إلى حد يجعلها تعتبر هذه الحكومات بمثابة ممثلها ويحملها على دعمها. وقد بينت التجربة التاريخية المديدة، خاصة قمع الانتفاضة البرلينية في كانون الثاني (يناير) ١٩١٩، ان هذه الحكومات قادرة على الرد بعنف ما بعده عنف على أول وثبة تقوم بها الجماهير ضد مؤسسات الدولة الديمقراطية البرجوازية.

لا وجود إذن لأي نظام انتقالي مزعوم بين دكتاتورية البرجوازية ودكتاتورية البروليتاريا، إلا **ويجب** مناهضته بمنتهى الحزم. فالحكم العمالي الوحيد لا يمكن أن يولد إلا من **الانتفاضة العمالية الظافرة** على أشلاء آلة الدولة البرجوازية وعلى أساس دكتاتورية البروليتاريا.

٥ ـ الثورة الستالينية المضادة والعودة إلى المنظور الثوري :

بعد أن عمدت الثورة الستالينية المضادة إلى تسليم الدولة

السوفياتية والأممية الشيوعية إلى النظام العالمي السائد، أقفلت نهائياً كل مخرج ثوري للأزمة التي نشأت بفضل الحرب الامبريالية الأولى، وبالتالي جعلت تقسيم العالم من جديد تقسيماً امبريالياً أمراً لا مفر منه ففي غضون الاستعداد للحرب وخلال المجزرة الامبريالية العالمية الثانية، نفسها توصلت البرجوازية والستالينية إلى تصفية كل رد فعل طبقي وكل تنظيم طبقي مستقل.

ومع إبادة كل حركة بروليتارية طبقية، ومع الانتصار الذي حققه في الحرب أقوى المعسكرين الإمبرياليين - أي ذاك المتحلق حول الولايات المتحدة الأمريكية **قلب الرأسمالية العالمية وشرطي العالم الجديد** استهلت مرحلة جديدة من سيطرة الرأسمال المبرمة التي لن يزعزعها إلا تقطيع أنفاس الدورة الهائلة من التراكم الرأسمالي التي جرت بعد الحرب.

والواقع أن الآمال المعلقة على أن يؤدي المد القوي الذي عرفته الثورات المناهضة للامبريالية التي عصفت بآسيا وأفريقيا والتي امتد أثرها إلى أميركا اللاتينية، إلى إيقاظ بروليتاريا المتروبولات وتحقيق اللحمة بين الحركتين، قد تبين أنها آمال **مفرطة** في التفاؤل إذ أن سبات الطبقة العاملة كان من العمق بحيث أن الأثر المباشر الذي أحدثه فيها هذا المد المعادي للامبريالية كان عبارة عن مزيد من التقدير للايديولوجيات الديمقراطية والوطنية.

غير أنه إذا كان الدفق الثوري لظهور جماهير البلدان المتخلفة اقتصادياً على الساحة التاريخية قد تم تأخيره بالنسبة للبروليتاريا، فهو اليوم يتضاعف مع عودة الأزمات الرأسمالية وإن تزايد ثقل هذه الأخيرة

على ظروف معيشة الجماهير المستغلة في البلدان الخاضعة، أدى إلى ظهور موجة اجتماعية بروليتارية أصيلة انطلقت من الأطراف وبدأت تدريجياً تقضم مناطق بلدان الرأسمالية الهرمة وتهدد بالوصول إلى قلب المتروبولات الامبريالية الكبرى نفسها.

ومع الانعطاف الذي سجلته أزمة ١٩٧٤ - ١٩٧٥، أخلت الدورة الثلاثينية للتراكم الذي جرى بعد الحرب، مكانها لفترة جديدة من الأزمات الرأسمالية واضطراب كل العلاقات الاجتماعية. وفي الوقت الذي استنزفت فيه دورة الثورات المناهضة للاستعمار، انفتحت بالمقابل الجبهة الاقتصادية (وبالتالي السياسية) بين الشرق والغرب وبدأت في ذات الحين تنهار أكثر من ذي قبل أسطورة الاشتراكية «الواقعية». أما النتيجة التي تتحصل لدينا من كل هذه الأحداث المتشابكة على مسرح العالم فهي واحد من أمرين: **أما حرب امبريالية وإما ثورة بروليتارية عالمية**.

٦ - الإنهزامية الثورية في الحرب الإمبريالية:

بما أن الحروب الامبريالية هي نتيجة لا مفر منها من نتائج الرأسمالية فليس ثمة مجال للحديث عن سلم دائم يحتث كل قهر قومي أو دولي، دون الاطاحة بالنظام الرأسمالي المبني على الاستغلال والقهر.

إن البروليتاريا لا يسعها أن تتصور النضال ضد المساعي المجرمة التي تقوم بها الامبريالية، ولا أن تتحرر من سيطرتها، دون النضال ضد الحملات التي يشنها كلا المعسكرين الامبرياليين وضد تبريراتهما. فعليها من جهة أن تناضل ضد الحملة المناهضة للامبريالية زيفاً وضد مزاعم

روسيا الامبريالية «والسوبر» رأسمالية التي تطلقها باسم الاشتراكية، كما عليها من جهة أخرى أن تناضل ضد الحملات المزيفة التي تشنها الامبريالية الأمريكية العظمى في سبيل الحريات والدفاع عن حقوق الانسان أو الحملة الصينية الكاذبة من أجل النضال ضد نزعات الهيمنة.

على البروليتاريا أن تكافح جميع الادعاءات المنافقة لدى كل امبريالية تزعم تحرير القوميات المقهورة من قبل الامبرياليات الأخرى، وهي لا تنتظر أن تأتي من الانتصار الثوري الذي تحققه القومية المقهورة والتي يجب على بروليتاريا البلد الغازي المضطهد أن تدعمها وتعززها، كما أنها من ناحية أعم لا تنتظر أن تأتي نهاية كل قمع من الطراز القومي إلا من فريق وحدة البروليتاريا الأممية، وبالقضاء الثوري على الدول القمعية وبإلغاء الرأسمالية.

فعلى البروليتاريا في الوقت نفسه أن ترفض كل الأفكار المسالمة وهي بالطبع تكافح المسالمة الصادرة عن برجوازيات البلدان الامبريالية الصغرى حيث تسعى هذه البرجوازيات للتنحي عن صراع قد يمس بامتيازاتها وتبحث ـ كما هي حال الامبرياليات الأوروبية ـ عن سبل أبدية ثالثة بين القوتين العظميين. إن هذه البرجوازيات لا تقوم بهذه المساعي إلا بعد إزدياد الضغط على مناطق نفوذها ولا يسعها أن تحصل على شيء سوى الحد الأقصى من الأوراق التي تلعبها من أجل المساومة على **التحاقها بواحد من المعسكرين المتحاربين.**

على البروليتاريا أيضاً أن تتحرر من نمط المسالمة الذي تنتهجه الديمقراطيات البرجوازية الصغيرة وهؤلاء الثرثارون الذين يتبجحون أن

بوسعهم الوقوف في وجه الحرب بالأفكار السلمية لكنهم في الحقيقة يعرقلون تحضير الثورة العنيفة التي لا يقوى شيء سواها على تخليص البشر من الحروب. فالبروليتاريا تعرف من تجاربها أن المسالمة البرجوازية الصغيرة هي دائماً أول من يحول رفضه للحرب إلى تطرف عسكريتاري ما أن يتبين وفقاً للحجة التقليدية أن كل الوسائل السلمية التي أُتبعت لتلافي الحرب قد استنفذت.

إذا لم يكن في يد الثورة حيلة لقطع الطريق أمام الحروب الامبريالية وإذا كان لا بد لهذه الحروب أن تندلع، فإن سبيل الخلاص الوحيد أمام البروليتاريا هو أن ترفع لواء الانهزامية الثورية الذي رفعه «ليبكنخت» «ولينين» وأن تنادي في جميع البلدان، إن عدو البروليتاريا الرئيسي إنما يكمن في بلدها بالذات، وان أفضل الشروط للثورة هو هزيمة دولتها بالضبط. وعلى الشيوعيين عندئذ أن يؤكدوا ضد جميع الانتهازيين المتاجرين بالسلم، إن **السلم الحقيقي هو أمر مستحيل بدون ثورة وبدون نضال من أجل تحويل الحرب الامبريالية إلى حرب أهلية ثورية.**

٧ ـ الحاجة إلى حزب الثورة العالمية الواحد الشديد المركزة

لقد فقدت الثورة نهائياً طابعها الأوروبي والأمريكي الشمالي الذي اتخذته بالأساس وقد كفت نهائياً عن أن تكون أمراً من شأن العرق الأبيض. فانتصار الثورة المعادية للاستعمار والاقطاع في البلدان المتأخرة اقتصادياً قد أوجد في العالم بأسره المقدمات الضرورية للثورة

البروليتارية، بوصفها الهدف المباشر لنضال الطبقة العاملة. وهذا يظل صحيحاً حتى ولو أن التحويل الشيوعي للمجتمع لا يمكن أن يتم بنفس الوتيرة في جميع الأمكنة. وإذا كان هناك من نضالات عديدة ليست بروليتارية بعد ستندلع بالضرورة في أكثر الأجزاء تأخراً من آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، فانها تدخل مع ذلك ضمن استراتيجية الثورة الشيوعية العالمية.

ومهما يكن من شأن المنطقة التي تتضافر فيها التناقضات الرأسمالية، ويكون من شأنها أن تتيح تراكماً في عوامل التفجر الآيلة إلى نشوب مد ثوري أممي. وسواء كانت هذه المنطقة في بلدان الأطراف أم في غيرها، فان المرجح أن تكون أوروبا الوسطى هو الحيز الذي سيكسب أولى المعارك الحاسمة في المد الثوري المقبل، بعد سلسلة من المعارك التي تخاض في سائر القارات. ففي هذه المنطقة يمركز الحلف المقدس الامبريالي المضاد للثورة أقصى قوى القمع والدمار، كما يوجد فيها قلب أعظم تمركز عمالي تمتد خلاياه الحية من ليفربول إلى سفردولوفسك، وفي الوقت نفسه تقع هذه المنطقة في عقر القلاع الرأسمالية حيث يصل التناحر الامبريالي إلى أقصى درجاته وهي تمثل الحلقة الضعيفة في سلسلة الدول البرجوازية التي ما فتئت حلقاتها تدمر وتبنى بعد العديد من الانتفاضات الثورية والحروب الامبريالية.

إن الانتصار الثوري في أوروبا لا يمكن أن يتم إحرازه إلا ضد جيوش الامبرياليتين الروسية والأمريكية مجتمعة، وهو سيفضي في حينه إلى انهيار روسيا الرأسمالية خاصة إذا كان قد سبقه احتلال الصين واليابان ولكن حتى يتحول هذا الانتصار الجزئي إلى انتصار نهائي للثورة

العالمية يجب أن تتمكن أيضاً قوى البروليتاريا الثورية المتحدة في أوروبا وآسيا وأفريقيا والأمريكيتين من التغلب على اعتى القلاع الامبريالية في أميركا الشمالية، بأن تجر وراءها الجماهير الفلاحية الفقيرة في القارات المغلوبة على أمرها.

وتجاه تعاون مختلف البرجوازيات التي أصبحت «تشكل في وجه البروليتارية فريقاً واحداً» (ماركس) حتى في بلدان العالم الثالث، وتجاه تمركز المهام التي تؤديها القوى المضادة للثورة تحت رعاية الدول الامبريالية الكبرى، لا يسع البروليتاريا أن تمركز قوى كافية من أجل التخلص من النظام الامبريالي إلا بأن» تلحق مصالح النضال البروليتاري في بلد معين بمصلحة هذا النضال في العالم أجمع» (لينين). وبأن تمركز قواها في حزب عالمي شديد المركزية.

إن تقهقر الحزب البروليتاري في روسيا وما تلاه من ثورة مضادة متلفعة برداء الشيوعية كذباً وبهتاناً لا يعيد النظر أبداً في مسألة الحاجة إلى قيادة الحزب للدولة البروليتارية، مثلما أن وضع العراقيل في وجه الأممية التي عملت الدولة القومية الروسية على تدهورها ابتداء من عام ١٩٢٦، وما تلا ذلك من ارتباك رهيب بالنسبة للحركة البروليتارية، لا يعيد النظر في الحاجة إلى حزب عالمي للبروليتاريا.

لقد تمكنت الثورة البرجوازية المضادة من استغلال بعض نقاط الضعف في الأممية عندما تركت هامشاً فضفاضاً في ميداني التكتيك والتنظيم، نظراً لعدم نضج الشيوعية في أوروبا الغربية، كما استفادت البرجوازية المضادة من بعض الغموض في العلاقة بين الحزب والدولة في

روسيا وهو غموض تعود أسبابه إلى النزيف الحاد الذي أصاب الطبقة العمالية الروسية أثناءالحرب الأهلية ثم إلى انهماكها بمهام تسيير الاقتصاد الرأسمالي. وهو أمر ضروري لبقائها وحاجتها للحفاظ على تحالف ما مع الفلاحين طالما تأخرت الثورة البروليتاريةالأوروبية، أي أن هذه الأسباب تعود إلى **العزلة الخانقة** التي انوجدت فيها الثورة البروليتارية في بلد **متأخر اقتصادياً**. كما استفادت الثورة المضادة من اعتماد الأممية اعتماداً كلياً على هذا الحزب الروسي الذي خضع لأقصى أنواع الضغوطات. وقد كان من الممكن في ظروف تاريخية أخرى تلافي مثل هذه النقاط الضعيفة التي عرفها الحزب البروليتاري وإذا كان الخصم البرجوازي قد تمكن من الاستناد اليها من أجل تطويق الحزب ومصادرته فان الثورة لم يقض مضجعها في نهاية المطاف، إلا عبر صدامات تاريخية بين قوى عملاقة..

فمن الجنون أن يستمد المرء حجته من هذه الوقائع لكي يبرر تخليه عن سلاحي الدولة البروليتارية والحزب الشيوعي. فالموقف الماركسي الثوري الوحيد يقتضي شحذ هذين السلاحين بأن يجعلهما **أمضى** وأفعل، بأن يشدد قبضته على مقاليد الدولة البروليتارية عبر حزب أكثر صلابه.

إن الدفاع عن النظام البروليتاري ضد مخاطر التدهور التي تنطوي عليها الاخفاقات والتراجعات الممكنة في عملية التحويل الاقتصادي والاجتماعي ـ التي لا يمكن تصور تحقيقها التام ضمن حدود البلد الواحد ـ لا يمكن أن يتم إلا بتنسيق دائم بين سياسة الدولة العمالية والنضال الأممي الواحد، الذي لا ينقطع سواء في وقت السلم أو في وقت

الحرب، هذا النضال الذي تخوضه بروليتاريا كل بلد ضد برجوازيتها وجهازها الدولوي والعسكري. **فهذا التنسيق لا يمكن أن يتم إلا عن طريق الرقابة السياسية والبرنامجية التي يمارسها الحزب الشيوعي العالمي على جهاز الدولة في البلد الذي تستولي فيه الطبقة العاملة على السلطة السياسية.**

ثانياً ـ مهام الثورة الشيوعية :

١ ـ الإستيلاء على السلطة السياسية :

لا يعقل أن تتم الاطاحة بسلطة البرجوازية السياسية إلا عبر سلسلة من المعارك الثورية، تدور على مسرح الكرة الأرضية بأسرها وعبر سلسلة من الانتفاضات والثورات المضادة والحروب الأهلية والحروب بين الدول، إلى أن تسقط الدول الامبريالية الكبرى التي هي جندرمة العالم.

وإنتصار الانتفاضة في بلد معين يخضع لشروط أولية هي تزعزع الدولة الرأسمالية بفعل أزمة سياسية تؤدي إلى خلافات داخل الطبقة المسيطرة، بفعل أزمة عسكرية أو أزمة اجتماعية، ودخول جماهير بروليتارية عريضة معترك النضال للدفاع عن شروط معيشتها الخانقة ضد النظام القائم.

غير أن هذه الشروط إذا كانت ضرورية فهي ليست بحد ذاتها كافية لتحقيق النجاح. فالواقع أن هذا النجاح لا يتأمن إلا إذا توصل الحزب الشيوعي، باشتراكه في جميع المعارك الجزئية المسبقة، إلى إحراز

نفوذ حاسم بين الطليعة البروليتارية على حساب التيارات الأخرى ونعني بذلك نفوذاً كافياً في أوساط الجماهير العمالية وشبه البروليتارية (الجنود خاصة). كما أن عليه أن يتوصل كذلك إلى تحييد قسم على الأقل من الشرائح الانتقالية والمتذبذبة من السكان، وهكذا يحرم الخصم، في اللحظة الحاسمة، من قسم من امداداته الخلفية، ويصبح من الممكن تجميع ومركزة كل النضالات البروليتارية، فضلاً عن النضالات الفلاحية التي تخاض في بعض الأمكنة ضد الملاكين العقاريين، في قوة واحدة وقوية، مهما كان شأن الجبهات التي تخاض عليها، فتتمكن هذه القوة بالاعتماد على الحرس البروليتاري المسلح، من تحطيم قوة البرجوازية المجمعة والممركزة هي الأخرى.

٢ - إنشاء دكتاتورية البروليتاريا وخصائصها :

بعد الاطاحة بالسلطة الرأسمالية لا تستطيع البروليتاريا أن تنتظم في طبقة مسيطرة إلا بأن تدمر جهاز الدولة القديم، أنها لا تستطيع تأمين نصرها بدون التدمير الشامل، وخلال الانتفاضة المسلحة، للمراتبية العسكرية التي تستخدم إرهابها من أجل توجيه البروليتاريين **الموضوعين** في خدمة العلم، ضد إخوانهم الطبقيين، وهي لا تستطيع تأمين النصر بدون تشتيت شمل المرتزقة ورجال الشرطة، وبدون أن تبني على أنقاض الجيش البرجوازي جيشها البروليتاري الأحمر المنظم على أساس التسليح العام للبروليتاريا.

كذلك تسارع البروليتاريا المنتصرة إلى **تحطيم** الأجهزة الادارية

والقضائية التابعة للدولة الرأسمالية، بأن تلغي على وجه خاص مراتبية الموظفين.

ثم تعمد أخيراً إلى تبديد البرلمانات وغيرها من المؤسسات البرجوازية التمثيلية بأن تستبعدها نهائياً عن أشكال سلطتها الخاصة، وتنتهي من الوهم البرجوازي حول فصل السلطات.

وتتكون **الدولة البروليتارية من أجهزة عمل ومشاركة من الجماهير البروليتارية تضطلع بمجمل المهام الاقتصادية والسياسية والعسكرية والقضائية والادارية التي تقتضيها الثورة**، وذلك وفقاً لأشكال معينة من شأنها أن تتيح في أقرب وقت الغاء إدارة الدولة بوصفها نشاطاً اجتماعياً منفصلاً عن سائر النشاط، بالرغم من الأخذ بعين الاعتبار للشروط الاقتصادية ولمستوى ثقافة الجماهير الذي يختلف باختلاف المناطق في العالم.

أما **نقابات الشغيلة، التي ستظل موجودة في الدولة البروليتارية طالما وجد العمل المأجور ولو جزئياً**، فتكون مهمتها حماية مستوى معيشة الطبقة الكادحة، وهي تتعاون مع الحزب والدولة البروليتارية على أداء وظيفتها هذه مثلما تتعاون معهما على أداء دورها في عملية التحويل الشيوعي للمجتمع.

ولما كان جهاز الدولة البروليتارية أداة وسلاحاً للنضال في فترة تاريخية انتقالية فهي من هنا بالذات، **لا تستمد قوتها التنظيمية من قواعد دستورية**، ولا من رواسم تمثيلية معينة. إن أرفع تعبير تاريخي عن هذا التنظيم قد حصل حتى الآن عبر تنظيم المجالس العمالية الذي

ولد خلال ثورة أكتوبر الروسية عام ١٩١٧ في فترة كانت الطبقة العاملة تتنظم فيها عسكرياً تحت إدارة الحزب البلشفي الوحيدة، وحين كان جدول الأعمال يتضمن الاستيلاء الكلي على السلطة، وحل الجمعية التأسيسية، والنضال من أجل سحق التمرد الذي قامت به الطبقات المنهزمة من الشرائح الوسطى والبرجوازية الصغيرة والأحزاب الانتهازية التي تقف في المراحل الحاسمة في خندق الثورة المضادة.

والدولة البروليتارية دكتاتورية بحكم أن البروليتاريا لا تشاطر سلطتها مع أحد وان «سلطتها لا ترتبط بأية شريعة» لينين. فالبروليتاريا لا يسعها أن تواجه جميع المحاولات التي تلجأ إليها الطبقات المهزومة إلا بأن تحرمها من كل حق ومن كل وظيفة سياسية، وبأن لا تتساهل تجاه أي محاولة تنظيمية من قبلها.

لا مفر من دكتاتورية البروليتاريا من أجل كسب تأييد الجماهير العريضة المستغلة والبائسة في المدن والأرياف، عبر ما تتخذه من إجراءات ثورية جذرية وجزئية، لا مفر منها من أجل توجيه الجمهور الأعظم من السكان، وبكل الوسائل، العنيفة والسلمية، العسكرية والاقتصادية، التربوية والادارية ضد العادات الموروثة عن عهود الاستعباد، وعبر وضع الاقتصاد الاشتراكي «في نصابه».

هذه الدكتاتورية وحدها هي التي تؤمن للبروليتاريا أرحب المجال في حرية التحرك والتنظيم، أنها الشرط الذي يمكن القوى البروليتارية من التمركز إلى أقصى الحدود ضد الجهود التي تبذلها الطبقات المهزومة من أجل استعادة امتيازاتها السياسية والاجتماعية. ومن أجل الحفاظ على

الامتيازات الاقتصادية الناجمة عن الانتاج السلعي ما دام قائماً، كما أنها شرط القيام بمواجهة المقتضيات القاسية التي تتطلبها الحرب الأهلية والحرب الثورية الأممية.

إن الشيوعيين إذ يرفضون التضحية باسم أي مبدأ ديمقراطي مهما كان أمره، وإذ يضربون بعرض الحائط كل أنواع الشكليات الليبرالية في النضال ضد الخصم الرأسمالي، يسلكون نفس السلوك تجاه دكتاتورية البروليتاريا. فهي لا تستمد قوتها من أية عبادة صنمية للدساتير، ولا من أي شكل تنظيمي أو استفتاء شعبي، بل من الامكانية المتوفرة لاضفاء أقصى حدود الفعالية على طاقات البروليتاريا الثورية، وقد تحررت إلى آخر مدى بفعل النصر، وهذا لا يمكن أن يتم إلا **تحت قيادة الحزب الشيوعي التي لا يشاركه بها أحد**. انه الحزب المسلح ببرنامج أكيد من الناحية النظرية، وبعزيمة لا تتزعزع، وهو الذي تعلّم عبر تجربته الثورية المديدة، وتزوّد بانضباط داخلي صارم، وبمركزية مطلقة، فأصبح مؤهلاً بفعل ذلك كله، وعبر المعارك الكبرى التي سبقت الاستيلاء على السلطة، إلى قيادة فعلية فهو يضفي على البروليتاريا، والحالة هذه، وحدة كلية من حيث الهدف والارادة والعمل ويشكل بالتالي الاداة التي لا غنى عنها في النضال الثوري.

ولأن الانتفاضة والدكتاتورية يدفعان صراع الطبقات إلى أوجه، فهما تقتضيان، أكثر من أية ظروف أو صراع آخرين، تنسيقاً بين القوى العمالية الهائلة، ومركزة لها، في الموضع الحرج وفي اللحظة الحاسمة، بأقصى ما يمكن من السرعة والفعالية. وهذا لا يتحقق إلا بفضل توحيد هذه القوى ومركزتها في جيش بروليتاري واحد على رأسه هو الآخر هيئة

أركان واحدة لا مرد لسياستها ونعني بها قيادة الحزب الوحيدة.

إن دكتاتورية البروليتاريا تمثلها بالضرورة دكتاتورية الحزب الشيوعي وحده.

٣ ـ الدكتاتورية البروليتارية والفلاحون :

لقد تضاءلت أهمية المسألة الفلاحية تضاؤلاً شديداً في أكثر البلدان تصنيعاً، حيث لم تعد الزراعة تستخدم إلا جزءاً بسيطاً من السكان، لكنها ما زالت تحتفظ بوزن كبير في بلدان جنوب وشرق أوروبا الفقيرة، وخاصة في بلدان آسيا وأفريقيا وحتى في أمريكا اللاتينية.

في الأرياف لا تقتصر الثورة البروليتارية على كونها نضال البروليتاريا الزراعية، الشقيقة التوأم للبروليتاريا الصناعية، ضد الطبقة الرأسمالية، ولا على نضال الفلاحين الفقراء ضد الملاكين العقاريين، بل أنها تقترن أيضاً، في البلدان المغلوبة على أمرها، بنضال الجماهير الفقيرة التي لا تملك أرضاً، بل تقترن أحياناً بنضال الشرائح الوسطى من الفلاحين ضد بقايا الملكية العقارية القديمة، بطريركية كانت أم اقطاعية أم كولونيالية، مع ما تستتبعه من رواسب القنانة والعبودية، ومن امتيازات امبريالية وفئوية. (الطبقات المقفلة).

وإذا كان منظور عام ١٩٢٠ يقوم على اتحاد مئات الملايين من فلاحي الشرق مع بروليتاريا الغرب، من أجل القضاء على الامبريالية العالمية وإنشاء جمهورية السوفييتات الشاملة، فهو قد أصبح الآن منظور اتحاد مئات الملايين من بروليتاريي العالمين القديم والحديث الذين

يجرون وراءهم في خضم النضال ضد القلاع الامبريالية وكافة السلسلة العالمية من الدول البرجوازية، جماهيراً لا تقل عنهم عدداً من الفلاحين الفقراء والمستغلين في العالم أجمع، **من أجل إنشاء دولة بروليتارية أممية واحدة.**

إن التدابير المباشرة التي تتخذها الدكتاتورية البروليتارية في الأرياف تختلف اختلافاً كبيراً بين منطقة وأخرى، نظراً لاتساع مروحة الأوضاع الخاصة العائدة إلى وفرة العلاقات بين الطبقات وبين الطبقات الفرعية أو الشرائح، وإلى التنوع الكبير في انماط الانتاج وأساليب التثمير، وإلى الفروقات في حركة مختلف الطبقات الفلاحية وتمرسها. فالموقف الشيوعي سيكون والحالة هذه عبارة عمّا تمليه الحاجة الملحة لكسب تأييد الجماهير البروليتارية وشبه البروليتارية في الأرياف، إلى النضال ضد الطبقات المسيطرة، وتحييد الفئات الاجتماعية الأخرى، وما تمليه الحاجة إلى تدعيم السلطة البروليتارية، من تموين للمدن وللجيش الثوري، قبل أن يكون بوسعها أن تعمد إلى تحويل الزراعة تحويلاً اشتراكياً وبطريقة حاسمة.

إن الشيوعية وحدها هي القادرة على استخدام وسائل الزراعة الحديثة الهائلة من أجل تخفيف أعباء الجوع عند الجماهير المستغلّة في الأرياف والمدن، هذا الجوع الذي يرتدي أبعاداً هائلة يوماً بعد يوم بفعل تمركز الأراضي في أيدي بعض الملاكين العقاريين الطفيليين، وتمركز وسائل الانتاج في أيدي بعض الرأسماليين الزراعيين الذين يعرّضون غذاء البشرية لجوائر قانون الربح.

إنها ستحقق الانتقال إلى الانتاج على نطاق واسع عبر نزع الملكية نزعاً ثورياً من الملاكين السابقين أن تأميم **الأرض** من شأنه أن يوفر للمجتمع استثمارات عصرية مبنية على العمل التعاوني، وذلك في أقل وقت ممكن من أجل تلبية الحاجات الغذائية الملحة لجماهير المدن المستغلّة. كذلك من شأنه أن يتيح ـ حسب الشروط الاقتصادية والسياسية المخصوصة ـ الانتقال إلى الاستغلال الحديث الواسع النطاق في الملكيات الكبيرة من الطراز التقليدي، أو تسليم الفلاحين المستغلين الأراضي اللازمة لاعالة عائلاتهم، وفي نفس الوقت الذي يتم الشروع فيه بادخالهم تدريجياً في نطاق الزراعة **المشرّكة** التي ينجذب نحوها جماهير الفلاحين لما لها من ميزات تقنية واقتصادية، **وعبر تثقيفهم وضرب المثل** أمامهم من خلال العمل الأكثر انتاجية وشروطه الأكثر انسانية.

٤ ـ الدكتاتورية البروليتارية والشعوب والقوميات المقهورة :

إن دكتاتورية البروليتاريا، بتحريرها لجميع القوى الانتاجية، التي أصبحت اجتماعية واممية، من القمقم الذي حشرتها فيه الدول القومية، وبوضعها لثروات مجمل الكرة الأرضية في تصرف جميع البلدان المشترك بعد أن كانت بين أيدي حفنة من الامبرياليين الجشعين، وبتحويلها إذن للمجتمع تحويلاً شيوعياً، ستخلق الأسس اللازمة لزوال كل أنواع القهر التي تلحقها الأمم الكبيرة بالأمم الصغيرة زوالاً نهائياً، وذلك حتى قبل أن تعمل الشيوعية على تخطي الفوارق بين القوميات في مجتمع بشري منظم بصورة موحدة.

أما على الصعيد المباشر، فان البروليتاريا المنتصرة سوف تكافح جميع أنواع القهر القومي والاثني بأن تضمن لجميع القوميات والاثنيات المضطهدة التي سجنتها ضمن حدودها، **ان تشكل دولة جديدة أو تلتحق بالدولة التي تريد**، كما تضمن لها حق بلورة مؤسساتها الأقليمية أو المحلية الخاصة بها، مع كامل حرية الثقافة واللغة. في نفس الوقت الذي تنادي فيه بأن الشيوعية ليست عبارة عن تقريب وتفاهم بين مختلف القوميات وحسب، بل **تسعى إلى صهرها صهراً كاملاً**.

إن البروليتاريا الثورية لا ترى في ذلك أي مسّ بالحياة الاقتصادية الموحدة والمركزية، ولا أي عائق في طريق اتجاه جميع الثقافات وجميع اللغات نحو الانصهار في ثقافة بشرية واحدة وأممية. بل أنها على العكس، **مقتنعة بأن حق الانفصال القومي هو أقصر الطرق**، حتى لو مرّ عبر الاتحاد الفدرالي، نحو الوحدة المعترف بها من قبل جميع القوميات في الجمهورية المركزية الشاملة، التي تصبح والحالة هذه إطاراً لانصهارها المتناسق ضمن الجنس البشري المتوحد.

٥ ـ مهام أولى الدكتاتوريات المظفّرة :

لا تستطيع البروليتاريا المظفّرة في بلد واحد أو مجموعة من البلدان، أن تحقق برنامجها الكامل دفعة واحدة، بل أن مهامها **الأوّليّة** تقوم على تعزيز سلطتها وعلى نشر الثورة البروليتارية إلى حين إنشاء دكتاتورية البروليتارية على صعيد العالم بأسره كساحة فعلية للتحويل الشيوعي للمجتمع.

وبالتالي فان جميع التدابير المباشرة ستكون ملحقة بالمقتضيات

العليا التي تستوجب هدم آلة الدولة القديمة وتكوين السلطة الطبقية الجديدة على نحو ما ورد في فصل «إنشاء دكتاتورية البروليتاريا وخصائصها» وخوض الحرب الثورية. وبالتالي فان جميع التدابير تكون ملحقة بالدرجة الأولى بحاجات تسليح البروليتاريا تسليحاً عاماً وبحاجات إنشاء جيش أحمر قوي وثوري، يشكل ذراعاً مسلحة للثورة العالمية ولحزبها الأممي.

من أجل الاستجابة لهذه المقتضيات الأولوية سوف تعمد البروليتاريا المظفرّة إلى التلبية الفورية لجميع المطالب السياسية المباشرة وفق التوجهات الأممية لنشاط الحزب التي من شأنها أن تنشط الطاقة الثورية لدى البروليتاريا والفلاحين الفقراء، وتضمن مشاركتهم الواسعة في مهام الثورة وفي الدولة البروليتارية.

كذلك يصار إلى اتخاذ سلسلة بكاملها من الاجراءات الاقتصادية والاجتماعية من أجل التخفيف فوراً من بؤس الجماهير العريضة المستغلة والفقيرة في المدن والأرياف، وإذكاء حماسهم الثوري واجتذاب تعاطف أوسع قاعدة ممكنة من هذه الجماهير مع السلطة الجديدة وتأمين حياد الباقين في خضم المجابهات الهائلة التي تجري في الواقع.

إن مثل هذه الاجراءات مستقلّة نسبياً عن درجة نمو الإقتصاد، لكن مهلة وضعها موضع التطبيق ونسبة تلبيتها، تظل جزئياً على الأقل، مرهونة بتقلبات الحرب الأهلية وتطوراتها، فهذه الاجراءات هي من نوع التخفيض الجذري لأجارات البيوت ولتكاليف الخدمات العامة، ومجانية النقل، والرفع الفوري والمرموق لاجور الفئات الآلة

استغلالاً كالعمال الزراعيين او العمال المتمرّنين ونزع ملكية الشقق الفخمة أو الخالية، ومصادرة المساكن، التي لا يشغلها إلا نفر قليل، لصالح الشغيلة، وإنشاء دور حضانة وحدائق أطفال مجانية، وتنظيم الحياة الجماعية وإعانة الشغيلة المسنين، الخ... أما المطالب الإقتصادية الأخرى التي سنشير اليها في فصل « التوجهات الأممية لنشاط الحزب »، فإن البروليتاريا ستعمل جهدها لتلبيتها في أول فرصة ممكنة وهي آخذة في الحسبان نفس الاعتبارات.

لكن المهمة الأساسية لن تبدأ إلا عند الاستيلاء على السلطة في الدول الأقوى التي هي في الواقع سيدة السوق العالمية وبوليس الكرة الأرضية، عندئذ تصبح المهمة الأساسية لدكتاتورية البروليتاريا هي مهمة تحويل المجتمع تحويلاً واسعاً ومبرماً بينما تكون الاجراءات المتخذة حتى ذلك الحين في هذا الاتجاه عرضة على الدوام لاعادة النظر فيها بناء على موازين قوى محلية أو أممية غير مناسبة.

٦ ـ الأهداف الكبرى للتحويل الشيوعي

أ) وضع خطة عالمية واحدة

إن التملك الاجتماعي والجماعي لوسائل الانتاج والتبادل هي عملية ينبغي أن تلقى التشجيع عبر سلسلة بكاملها من الوسائل تتراوح بين التعاونية ومجرد الرقابة العمالية على رب العمل وبين التأميم ونزع الملكية فوراً، حسب درجة التشريك الحاصلة عملياً. والمقصود من ذلك

جعل الانتاج والتوزيع أمرين جماعيين، بالغاء كل تملك **خصوص للمنشآت الخاصة أو العامة**، أي بمركزة وسائل الانتاج بصورة تحطم كل حدود الملكيةالشخصية وملكية المنشآت وملكية الدولة.

إن تحويل الزراعة يتخذ بحكم الملكية العقارية والتأخر الاقتصادي، أبعاداً خاصة سبق إن عالجناها في فصل «دكتاتورية البروليتاريا والفلاحون» وينبغي تشجيعها عبر مساعدة قوية ودون مقابل من قبل القطاع الصناعي بأن يصار إلى تزويده بالآلات والأسمدة والتقنيات الخ... وبمساهمة مكثفة بقوة العمل في أوقات الأعمال الزراعية الضخمة، من قبل شغيلة المدن التي تنتظم لهذا الغرض في جيوش صناعية.

ثم إن مركزة النقابات العمالية ومركزة سلسلة بكاملها من التنظيمات المختصة، **يمكّن** الدولة البروليتارية من أن **تضع** بتصرف المجتمع، بصورة تدريجية، مجمل وسائل الانتاج والتبادل وقوة العمل البشري. والموارد والثروات الاجتماعية التي تستحوذ عليها اليوم حفنة ضئيلة من الرأسماليين المنتمين أساساً لمجموعة بسيطة من الدول الامبريالية الكبيرة، فيستأثرون بها على حساب الأكثرية الساحقة من السكان **المستغلّين**، لا سيّما منهم الجماهير الجائعة في البلدان المتأخرة اقتصادياً.

هذه الخطة ستكون مصحوبة إذن بتدابير تتناول تحويل الغذاء والسلع الضرورية من البلدان الرأسمالية إلى البلدان الفقيرة، بصورة مكثفة وبدون مقابل، ثم يأتي على المدى الطويل دور تحويل وسائل

الانتاج، ومعها في البداية شغيلة ماهرون **ومعلّمون**، مما يتيح انتشال أرياف العالم الثالث من تأخرها وهامشيتها، ويدفع نشاطها الانتاجي إلى المعدل الوسطي من نشاط المجتمع، ويرسي أسس التنظيم العقلاني للانتاج ولمجمل الحياة الاجتماعية على صعيد الكرة الأرضية.

إن مركزة جميع الموارد الطبيعية والبشرية، وجميع وسائل الانتاج والتوزيع، سوف تتيح كذلك **إلغاء التضاد بين المدن والأرياف** وهي عملية تدفعها الرأسمالية حتى أقصى حدودها، فيصار في البداية إلى وقف أعمال البناء في المناطق المدينية، ثم إلى توزيع المواد البشرية والنشاطات توزيعاً عادلاً على المساحة الجغرافية وتوضع طاقات **الطبيعة** والمجتمع الهائلة في خدمة نمو البشرية نمواً متناسقاً.

ب) رفع استهلاك الجماهير العريضة

إن الطاقة الانتاجية الهائلة التي تكون قد وصلت اليها البشرية، تمكن بعد فترة قصيرة نسبياً، من تلبية الحاجات الأولية للجماهير العريضة في جميع القارات، ومن إلغاء الفروقات الطبقية.

ثم إن التقليص الكبير لحصة الثروات التي كان يخصصها الرأسمال لمعدات الانتاج قياساً على سلع الاستهلاك في جريه المضني وراء الانتاج من أجل الانتاج، وتحويل المنتوجات الحربية والمترفة والسلع الطفيلية والمضرة المنافيةللمجتمع، إلى منتوجات استهلاكية مفيدة للجماهير العريضة، **والقضاء على التبذير** التافه الذي **تولّده** الفوضى الرأسمالية والدورة الجهنمية لرأس المال، كل هذه الأمور من شأنها أن تزيد، بنسبة هائلة، من كميات السلع التي تصبح بتصرف المجتمع.

إن رفع استهلاك الجماهير العريضة سيتم على هذا الأساس عبر رفع الأجور، طالما بقيت، وخاصة عبر رفع المعونات المالية المجانية لمؤسسات الحياة الجماعية المنظمة.

ج) تقليص دوام العمل الى ٤ ساعات بصورة جذرية وبلا تأخر :

إن الإستعمال العقلاني للطاقات الإنتاجية الموجودة ، مقروناً في فترة أولى ، باجبار كل السكان الذين هم في سن العمل على أن يعملوا ، واستيعاب جماهير العاطلين عن العمل والسكان الهامشيين أو الذين لا يعملون إلا جزئياً ، وادخالهم في دورة العمل الاجتماعي ، من شأنها ، مع الغاء اقتصاد السوق ، أن تقلص مدة وزخم العمل بصورة فائقة وقاطعة .

فهذا الاجراء أمر لا غنى عنه من أجل تحسين صحة الجماهير البروليتارية العريضة وتمكينها من الاضطلاع وبأسرع ما يمكن ، بأقصى عدد من المهام الادارية والسياسية والعسكرية الجماعية . ناهيك بأن هذا الشرط هو الذي يمكن كل كائن بشري من الانصراف الى تشكيلة غنية من النشاطات الاجتماعية ، مما يمكن إذن الانتهاء من التقسيم الإجتماعي للعمل ، وخاصة الغاء التقسيم بين العمل اليدوي والعمل الذهني ، ورفع التضاد بين المدرسة والعمل المنتج . أن هذه النتائج ، بتحريرها لقوى انتاجية جديدة ، من شأنها ، بدورها ، أن تحد الى الحدود الدنيا اللازمة ، تلك المهام القميئة والرتيبة التي لا تقوى الآلات

على القيام بها بعد ، وأن تحطم الفواصل بين الراحة والعمل ، فيصبح هذا الأخير ، والحالة هذه حاجة أساسية من حاجات البشر .

د) التنظيم الجماعي للاستهلاك وللحياة الاجتماعية :

ان تطبيق التنظيم الجماعي على جميع ميادين الاستهلاك والحياة الاجتماعية ، من شأنه أن يتيح توفيراً هائلاً في العمل الاجتماعي ، ويؤثر بدوره على تقليص وقت العمل لدى الجميع ، ويحسن نوعية الاستهلاك والحياة الاجتماعية بنسبة متزايدة .

وإذا رافق هذا التدبير مساهمة جميع أفراد المجتمع بالعمل المنتج حسب قواهم ، فإن من شأنه أن يستوعب في الحياة الجماعية من جديد الشغيلة المسنين الذين تلفظهم الرأسمالية الى غياهب البؤس وتتخلى عنهم بعد أن استنفذت قواهم في العمل .

أما الأطفال فسوف ينتزعون من الاستغلال الرأسمالي والاستغلال العائلي ، وينتشلون من **بربرية التربية الخاصة** ، ومن الأهمال الذي يحيق بهم ، ومن تفرد الأهل في امتلاكهم امتلاكاً فردياً ، الأمر الذي يورث العزلة والفردانية . أن وضعهم على صلة بأمور المشاركة في المهام الجماعية منذ نعومة أظفارهم ، وحسب حاجات نموهم الخاص ، سيجعلهم يعيشون في الحيز الإجتماعي والنفساني والعاطفي الذي يجعل تربيتهم غنية وفرحة .

إن الإنجاز الجماعي لكل المهام التي تنذر اليوم نصف البشرية النسائي للعبودية المنزلية ، وللمهام البيتية وللتربية الحرفية للاولاد ،

والتي تحرص الرأسمالية على ابقائها ، طمساً للبطالة واضعافاً للاجر العمالي ، سوف يسمح ايضاً بمشاركة كاملة للنساء في الحياة الجماعية . **ومع الغاء الدونية الاجتماعية للمرأة ، يزول أيضاً قهرها الجنسي بالزواج البرجوازي** الذي هو أكثر أشكال البغاء شيوعاً .

وبعد أن يتم تحطيم القيود التي تكبل عائلة الزواج الاحادي الحديث بمباركة القانون والدين ، يصبح بوسع المجتمع أن يشهد العلاقات الحرة فعلاً بين الازواج ، والمودة الحقيقة بين الاجيال وحب الاطفال حباً متجرداً حقيقياً ، في العائلة الاجتماعية الكبرى التي هي الإنسانية جمعاء .

في مثل هذا المجتمع حيث تكون حرب الجميع ضد الجميع قد زالت نهائياً ، وزالت معها كل أنوع الفردانية ، يزول أيضاً كل تناقض بين الفرد والمجتمع . ففي مجتمع الجنس البشري الموحد تكون المساهمة في المجهود الجماعي قد أصبحت الحاجة الحيوية الاولى ويكون « **النمو الحر لكل فرد قد أصبح شرطاً لتطور الجميع تطوراً حراً** » كما قال بيان عام ١٨٤٨ .

٧ ـ الشيوعية وتلاشي الدولة :

في نهاية هذه المرحلة الانتقالية الثورية التي تقتضي الدكتاتورية البروليتارية الطبقية من أجل مركزة مجمل الاقتصاد والغاء الرأسمال والاجر وسائر علاقات السوق ، يصبح بوسع المجتمع أن يتخطى هذه المرحلة الانتقالية الثورية . ومع انتهائها تكون الدولة قد تلاشت بما هي

دولة طبقية أو بما هي دكتاتورية طبقية عندما لم يعد ثمة وجود للطبقات لكن استمرار وجود قاعدة للتوزيع الاجتماعي **وفق قاعدة المساواة حسب ساعات العمل** ، يعني استمرار « الحق البرجوازي » مما يوجب أن تظل الدولة موجودة بوضعها اداة للتنظيم الاداري والاكراه الاجتماعي . **غير أن أداة الإكراه هذه تزول بزوال ضرورة الاكراه نفسه** ، عندما يكون المجتمع قد أصبح قادراً ، على نحو أفضل ، مواجهة نمو الحاجات لدى مجمل السكان ولدى كل فرد من الافراد (لكل حسب حاجته) . عندئذ لا تعود الدولة سوى هيئة بسيطة تتولى ادارة العمليات الانتاجية ادارة عقلانية ، حتى أنها تخلي مكانها للانتاج نفسه . ففي مرحلة الشيوعية التامة تتلاشى الدولة حسب تعبير انجلس الشهير .

وفي نهاية المرحلة الانتقالية الثورية (دكتاتورية البروليتاريا) يمر المجتمع بالمراحل التالية التي حددها ماركس تحديداً علمياً :

■ **المرحلة السفلى من الشيوعية أو الاشتراكية ، حيث يكون المجتمع قد توصل الى تدبير شؤون المنتوجات بشكل عام وعهد بها الى أفراده وفق خطة معينة لتوزيع الحصص ، أما التبادل والنقد فيكونان قد كفا عن أداء وظيفتهما فيزولان مع زوال هذه الوظيفة . لكن العمل الاجباري وتسجيل زمن العمل الذي قام به كل فرد يبقيان ، فيعطى كل فرد قسيمة تشهد على وقت العمل الذي قام به وهي عبارة عن ايصال العمل الشهير الذي لا يسمح بتداوله بين الافراد ولا للتراكم بالتالي .**

■ **المرحلة العليا من الشيوعية ، عندما تكون انتاجية العمل قد**

أصبحت كافية بحيث لم يعد هناك ضرورة لا للعمل الاجباري ولا لتوزيع الحصص ، عندئذ يصبح بوسع المجتمع أن يكتب على رايته : « من كل حسب طاقته ولكل حسب حاجته » .

ثالثاً : التوجهات الأممية لنشاط الحزب

١) مهام الحزب الشيوعي :

إن الصراع القائم بين القوى الانتاجية العصرية وعلاقات الانتاج الرأسمالية يعبر عن نفسه من خلال الصراع بين البرجوازية والبروليتاريا .

إن مختلف قطاعات الطبقة العاملة تثور على الظروف القاسية التي قيدت بها ، وتصطدم بحدود استعبادها عبر سلسلة من المعارك الجزئية . ففي هذا السياق المتلاطم تستجمع الطبقة العاملة عبر تراجعاتها المأساوية وتقدماتها الفجائية ، كل قواها في جيش بروليتاري واحد ، من أجل خوض المعارك الحسامة ضد معاقل دول رأس المال .

إن نشاط الحزب لا يستطيع ولا ينبغي له أن يقتصر على التمسك بنقاء المبادىء النظرية والتنظيمية ، كما أنه يستهدف من ناحية أخرى أن يسجل بأي ثمن نجاحات مباشرة أو شعبية أوسع . بل عليه دائماً وفي كل موقف أن يسعى الى تطوير نفسه في ثلاثة اتجاهات معاً .

أ) أن يدافع عن المسلمات الأساسية للماركسية الثورية ويحددها

وفقاً للوقائع الجديدة الحاصلة ، والمعني بالماركسية الثورية هو الوعي النظري لحركة الطبقة العاملة الذي يعتبر بوصلة الحزب الطبقي .

ب) أن يؤمن استمرارية التنظيم الحزبي وفعاليته ويحميه من كل المؤثرات الخارجية المعاكسة لمصلحة البروليتاريا الثورية .

ج) أن يساهم مساهمة نشطة في جميع نضالات الطبقة العاملة بما فيها تلك التي تتم من أجل مصالح جزئية ومحدودة ، وذلك من أجل تنيمة الوعي والتنظيم الطبقيين لدى العمال ، ومن أجل ربط هذه النضالات بالاهداف النهائية الثورية ، ساعياً الى مساعدة البروليتاريين الطليعيين على جعل هذه المعارك اليومية بمثابة الرافعة للنضال الثوري العام ضد الرأسمالية .

إن الهدف الأسمى لهذا النشاط الحزبي المعقد هو تحقيق الشروط الذاتية للتحضير الثوري فالمقصود هو اعداد البروليتاريا والحزب نفسه حتى يكون بوسعهما استغلال الامكانات الثورية الموضوعية التي قد يتيحها التاريخ ما أن تظهر هذه الامكانات ، بحيث يتسنى تحقيق النصر عوضاً عن الابتلاء بالهزيمة .

٢ ـ الدفاع عن شروط معيشة الطبقة العاملة وشروط عملها :

الشيوعيون هم أصلب المدافعين عن المطالب التي تعبر عن المقتضيات الفعلية والملحة لحياة الجماهير العريضة ، سواء كانت هذه المقتضيات متلائمة مع مسيرة الرأسمالية أو غير متلائمة ، في حين أن

هذا « التلاؤم » يشكل بالعكس ، أول هم من هموم دعاة السياسة الاصلاحية المتواطئة .

الشيوعيون يحاربون سياسة التخريب المضادة للثورة التي ينتهجها البيروقراطيون الاصلاحيون فهؤلاء يعتمدون على المصالح العابرة والمهنية للشرائح الارستقراطية من العمال التي تتطلع الى تقليص النضالات والمحافظة على وضعها وامتيازاتها ، سعياً وراء التبشير بالتحالفات وتعزيزه مع رب العمل والدولة الرأسمالية ضد جمهور المنشآت المتنافسة والفئات الدنيا من العمال أو الشغيلة المهاجرين ، خاصة أولئك الذين هاجروا من بلدان تسيطر عليها الدولة الامبريالية التي ينتمي اليها هؤلاء الاصلاحيين أنفسهم .

عندما يحرّض الشيوعيون في سبيل الدفاع النشيط عن أدنى الفئات الاجتماعية ويناضلون ضد الردات الارستقراطية والمطالبات بحماية الدولة ، فإنهم لا يدافعون اطلاقاً عن مصالح فئة من العمال ضد مصالح فئات عمالية أخرى . إنهم يناضلون من أجل المطالب المشتركة التي تعني كل الطبقة ، **فهم يناضلون إذن من أجل تلك المطالب الكفيلة بتوحيد صفوفها** ، بما يتخطى نتائج النضال المباشرة .

هكذا فهم يشاركون في النضالات الاقتصادية والنقابية بأن يتقدموا بالتوجهات الكبرى التالية :

* **الدفاع عن الاجر الأساسي ، والنضال من أجل ضم الزيادات الى الاجر ، والنضال ضد الاجر على القطعة والاجر على المردود بناء على الساعات الاضافية .**

* **النضال من أجل التخفيض الفوري لدوام العمل ، وضد وتائره الجهنمية ، ومن أجل الحد من العمل الليلي والعمل المحصور بدوام حد أدنى لأسباب تقنية .**

* **النضال ضد التسريح من العمل .**

* **المطالبة بأجر كامل للمسرحين والمتقاعدين والمطالبة بمعاش يعادل الحد الادنى للاجور على الأقل لجميع الذين لا عمل لديهم ، ولجميع الشغيلة المجندين .**

* **النضال من أجل مجانية الخدمات الصحية والنقل ، وتخفيض أجارات المساكن وتكاليف الخدمات العامة تخفيضاً كبيراً ومن أجل الغاء الضرائب المفروضة على أجور العمال أو على استهلاكهم .**

وهم في نفس الوقت يناضلون ضد اخضاع الطبقة العاملة أو احدى فئاتها لـ « نظام البطاقات» (دفتر العمل في روسيا ،جواز العمل في أفريقيا الجنوبية ، بطاقات الإقامة والعمل في بلدان المهجر) وكل إجراء من شأنه أن يكرس على صعيد الدولة أو صعيد العمل شعوراً بالدونية لدى فئة من الشغيلة المهاجرين الخ . .) .

وهم يناضلون من أجل أن تتولى الطبقة العاملة على عاتقها الحماية الجماعية ، لمصالح الشغيلة القدامى ، والشبان المكدسين في الثكنات والناقمين على استبدادية المراتبية العسكرية ، كما يناضلون من أجل أن لا تغفل الطبقة العاملة عن نضالات البروليتاريا في المنشآت الحرفية الصغيرة وفي الأرياف ، وتتركها في عزلتها ، خاصة وأن هذه النضالات

تخاض في مناخ من البعثرة لا يساعد على المضي بها .

وهم يأخذون على عاتقهم أن يعملوا على تنظيم العاطلين عن العمل بصلة وثيقة مع الشغيلة الذين هم بدورهم عرضة للبطالة في الأوقات العصيبة . كما يعمل الشيوعيون على تنظيم جماهير البروليتاريين الذين لا عمل لهم والهامشيين المقيمين في أحزمة البؤس والاحياء المنبوذة والفقيرة من المدن الكبرى ، والذين يعانون من مشكلات رهيبة لا تتعلق فقط بموارد العيش بل أيضاً بالسكن ومياه الشرب . . . الخ .

ويولي الشيوعيون انتباهاً خاصاً لتنظيم أكثر الفئات استغلالاً من الطبقة العاملة **كالنساء البروليتاريات والشبيبة** ، وهم إذ يحاربون كل فكرة تتعلق باستقلالية النضالات ما أمكن بنضال مجمل الطبقة العاملة .

فمن مصلحة الطبقة العاملة أن تناضل نضالاً عنيداً ليس فقط من أجل مساواة المرأة العاملة بالرجل مساواة قانونية ، ومن أجل حقها **الكامل في الطلاق وفي استعمال** أساليب منع الحمل وفي الاجهاض الحر والمجاني ، بل ومن مصلحتها أيضاً أن تناضل ضد كل تمييز اقتصادي بين الجنسين ، أو كل تمييز بينهما من حيث النظام الحقوقي في العمل ، ومن أجل تعميم ومجانية دور حداقة الأطفال وحضانتها ، ومن أجل حماية الأمومة ورعايتها . . الخ .

إن الشبيبة البروليتارية هي مستقبل الطبقة العاملة و « شعلة ثورتها » (ليبكنخت) أن النضال ضد استغلال الشبيبة العمالية والمتمرنين ، ومن أجل تنظيمهم ، والنضال ضد التبليد المنظم في

المدرسة البرجوازية ، وضد الروح العسكرية البرجوازية ، فضلا عن النضال من أجل التثقيف الثوري للشبيبة عن طريق اشتراكها في نضالات مجمل الطبقة العاملة . فهذه كلها مهام لا غنى عنها من أجل الدفاع عن الطبقة وتحضير الثورة الشيوعية .

إن الشيوعيين يحاربون الأوهام التي يبثها حشم البرجوازية الاصلاحيون والتي تقول أن بوسع الطبقة العاملة أن تحسن مصيرها ومستقبلها بأن تعد نفسها اعداداً مهنياً أفضل ، أو بأن تسهر على مصالح الاقتصاد القومي والمنشآت والخدمات العامة .

إن هذه الترهات ليست سوى وسائل لتحديد الشغيلة ، وبث الشقاق في صفوفهم واعقام نضالهم في الدفاع المشترك عن بعضهم .

وقبل أن تتمكن الطبقة العاملة من الغاء أسباب عبوديتها عبر التحويل الشيوعي للمجتمع لا يمكنها أن تناضل بشكل فعال ضد هذه العبودية إلا باستخدام قوتها الطبقية . أن هذه القوة تأتيها من عددها وتمركزها ووسائل الضغط الهائلة التي يضعها الرأسمال بين أيديها بحكم موقعها في عملية الإنتاج ، وبحكم قابليتها للانضباط والتنظيم ، وعزيمتها على الدفاع عن مصالحها بمقارعة عنف الطبقة الرأسمالية بعنف مماثل .

ليس عليها إذن أن تبحث عن اسلحة نضالها في ترسانة اجراءات التفاوض والتحكيم والمساومة والمشاركة ، وهي اجراءات عزيزة على قلوب دعاة التآزر والتفاهم بين الطبقات وحملة لواء السلم الاجتماعي .

بل عليها أن تبحث عنها في اشكال النضال المباشر والمفتوح كاللجوء الى **الإضراب بدون اشعار مسبق ولا تحديد مسبق لمدته** ، وكالتضامن النشيط ضد الخصم ، وتنظيم الفرق التي تسهر على حماية الأضراب ، وجميع اشكال الدفاع الذاتي والرد البروليتاري على عنف وإرهاب الرأسماليين وجلاوزتهم .

٣ ـ النضال في سبيل التنظيم المضطرد للطبقة العاملة :

ليس في نيّتنا هنا أن نعالج مسألة تكوين هيئات النضال السياسي ، كالمجالس العمالية التي تكوّنت أثناء آخر موجة بروليتارية . فمثل هذه الهيئات لا يمكن أن تولد إلّا في وضع يكون في غاية التوتر الثوري ، فيعمد الشيوعيون لوضع الشروط الدقيقة للمبادرات التي ينبغي اتخاذها من اجل تكوين هذه الهيئات أو تدعيمها ، حتى يتسنّى لها أن تقوم بوظيفتها الفعلية وأن لا تنحرف عن دورها الثوري .

وبإنتظار أن يتهيأ مثل هذا الوضع يعتبر الشيوعيون أن الازدياد الحاسم لنفوذ الحزب بين الجماهير ، ناهيك بالدخول في حقبة ثورية ، لا يمكن أن تظهر معالمه إلّا إذا نمت بين الحزب والطبقة شبكة من الهيئات التي تضطلع بالدفاع عن المهام المباشرة ، فتضم العديد من البروليتاريين كما تضم بينهم دائرة من شبكات الحزب .

فالسؤال يطرح إذن لمعرفة الموقف الذي يتخذه الشيوعيون إزاء الهيئات النقابية الكبرى القائمة حالياً . فالضغط المتزايد الذي تمارسه

الدولة الرأسمالية على الطبقة العاملة دون أن تكون هذه قادرة على مواجهته بضغط مضاد متناسب مع معدّل النشاط الذي ينبغي أن يقوم به حزب بروليتاري قوي ، قد ادىّ خلال السنوات الخمسين الاخيرة الى تقوية الاتجاه نحو استيعاب النقابات من قبل الدورة الرأسمالية وادخالها في جهازها .

فالتنظيمات الإقتصادية الرسمية الكبرى هي اليوم أما نقابات رسمية تابعة للدولة ، كما هي الحال في بلدان اوروبا الشرقية وفي عدد كبير من دول اميركا اللاتينية ، وكما جرى في معظم بلدان آسيا وأفريقيا بعد انتصار المدّ المناهض للامبريالية ، وأمّا نقابات ديمقراطية ، مستقلة شكلياً ، لكن كل بيروقراطياتها المضادة للثورة هي في الواقع دعامة من دعامات الدولة الرأسمالية كما هي الحال في الديموقراطيات الغربية الليبرالية وفي اليابان ، وفي بعض بلدان أميركا اللاتينية .

إن الهدف لا يمكن أن يكون في الاستيلاء من جديد على مثل هذه النقابات الديمقراطية التي توصلت الثورة المضادة الى افراغها من كل حياة طبقية بأن كيّفت وما فتئت تكيّف سيرورتها باستمرار مع مقتضيات التواطوء مع البرجوازية على جميع اصعدة المصنع وإدارة الدولة الرأسمالية فإذا كان لبعض القطاعات أو بعض الأطراف من هذه الهيئات النقابية ، أن ينتقل خلال المعارك الطبقية القاسية المقبلة الى النضال البروليتاري ، فإن ذلك لا يمكن أن يتم الاّ عبر النضال ضد الاجهزة والبيروقراطيات والمراتبيات المركزية الرسميّة التي لا يجدي أي

إصلاح لانظمتها الداخلية لحملها على الدفاع عن المصالح الطبقية المستقلة للبروليتاريا .

ناهيك بأن هدف الشيوعيين الثوريين **لا يمكن أن يكون في الحصول على نقابات ديمقراطية على الطريقة الغربية** في بلدان الشرق والعالم الثالث . أن الاشتراكية الديمقراطية والكنيسة والتيارات الديمقراطية البرجوازية الصغيرة ، التي يعتمد عليها مثل هذا الاتجاه الذي يتجلّى اليوم في البرازيل وفي بولونيا بعد التجربة الإسبانية التي خاضتها البرجوازية بنجاح ، هي كلها عبارة عن حاشية للطبقة المسيطرة ، تقوم بمعاونتها على تحقيق الانفتاح الديمقراطي للبنى الرسمية .

إن المرحلة التاريخية التي بدأت في ايامنا هذه تطرح من جديد على جدول الاعمال ، وقبل إمكانية وجود المخرج الثوري ، تكوين شبكة من الهيئات العمالية المستقلة عن الدولة وعن البرجوازيين الصغار ، أي تطرح مهمة تنظيم الطبقة تنظيماً مدروساً ومضطرداً .

إن سبيل انبعاث هذا النسيج العمالي المترابط ينطلق بالضرورة من بعض المحاولات المكللة بالنجاح الى هذا الحد أو ذاك ، من اجل احياء هيئات ذات اهداف محدودة بالضرورة هي الاخرى ولمدة غالباً ما تكون قصيرة الاجل ، لكي يصار من ثمّ الانتقال بصورة متفاوتة للغاية حسب القطاعات والبلدان ، الى جهود تنسيقية منهجيّة ، في سبيل نضالات على نطاق اوسع . والشيوعيون يشتركون بالطبع في هذه الجهود بأن يعملوا على تشكيل جبهة بروليتارية للنضال ، انطلاقاً من المطالب الطبقية الملحّة : فهم يناضلون من اجل اسقاط جميع الحواجز المصطنعة ذات

الطبيعة البرنامجيّة أو الدينية أو الفلسفية التي تنهض في وجه تنظيم الشغيلة وهذا النضال إنما يخاض على اساس الدفاع عن المصالح الطبقية للشغيلة ، والشيوعيون يولون انتباهاً خاصاً للمحاولات التي يقوم بها الشغيلة الكفاحيّون من اجل اقامة صلات تهدف الى تحضير النضالات المقبلة خارج وطأة الاجهزة الرسمية .

أما مسألة إعادة بناء الهيئات الكبيرة التي تضم مجمل الشغيلة من مختلف الفروع الصناعية في بلد واحد فلا يمكن أن تطرح إلاّ في مرحلة متقدمة من النضال يحددها تمرد الشغيلة المكثّف ضد توجيهات وأوامر البيروقراطيات المأجورة التي تهيمن على النقابات الحالية. أن اعادة البناء هذه قد تتخذ هي بالذات اشكالاً مختلفة تتراوح ، حسب الشروط المخصوصة بين التحويل الجذري لبعض اجزاء البنى الحالية ، والتخلّي النهائي عنها من قبل الشغيلة ، أو بين حلّ الهيئات الحالية والإبقاء عليها الى جانب الهيئات الطبقية الجديدة ، كما أن بوسعها أن توفّق بين مهام في غاية التنوّع حسب النضج الثوري للأوضاع ، حيث تسمح الشروط بنمو هذا الشكل أو ذاك ، ثم تتيح له أن يتعمّم ، تبعاً للأوضاع العامة التي يختصّ بها هذا البلد أو ذاك ، وتراثه التاريخي ، واللعبة المتبادلة بين بين التيارات السياسية فيه ومروحة الهيئات الموجودة ، وتوازن القوى . . . الخ .

بإنتظار ذلك ، لا يعمد الشيوعيون الثوريون الى ترك الهيئات التنظيمية القائمة حالياً لانهم بذلك يتركون الشغيلة المنتمين الى هذه الهيئات ، الى نفوذ التيارات الإصلاحية وحدها ، ناهيك بالتيارات

المحافظة الصرفة . وهم يعملون أيضاً داخل هذه الهيئات ليس من اجل الإستيلاء على اجهزتها ، بل من اجل أن يبرهنوا عن الغايات المضادة للثورة التي يسعى وراءها البيروقراطيون المأجورون ، وينتزعوا الشغيلة من دائرة نفوذهم انطلاقاً من دوافع النضال البدائية ، ويقتضي مثل هذا النشاط أشكالاً من السريّة تتفاوت في شدّتها تبعاً للحالات ويستبعد الإضطلاع بالمسؤولية حتى ولو كانت محليّة أو ظرفية ، في الهيئات التي غدت مرتبطة قانونياً بالدولة أو التي يكون الانتماء اليها اجبارياً .

ويحرّض الشيوعيون دائماً باتجاه الفكرة القائلة بأن النضال من أجل الدفاع عن المطالب لا يكفي وحده لتخليص الطبقة العاملة من عبوديتها . وأن هذا النضال سيكون على المدى الطويل عديم الفعالية ، بل عقيماً إذا لم يستثمر من أجل توعية البروليتاريا على ضرورة التحويل الشيوعي للمجتمع . وإذا لم يستثمر من أجل تدريب القوى الطبقية للاستيلاء الثوري على السلطة الذي هو الكفيل وحده بتعزيز وتأمين الإنتصارات المحققة على الصعيد المطلبي ، وباختصار إذا لم يعتبر هذا النضال بمثابة مدرسة حرب للشيوعية (إنجلس) .

ويحارب الشيوعيون بالتالي كل فكرة تدور حول الحياد السياسي لتنظيمات النضال المباشر بوصفها تنازلاً خطيراً أمام البرجوازية . فالتجربة تبرهن أن هذه الذريعة هي التي تتذرع بها في كثير من الأحيان ، تلك القوى التي سلّمت هذه التنظيمات لسياسة البرجوازية المحافظة وللدولة الرأسمالية .

ورغم اقتناع الشيوعيون بأن النصر الثوري مستحيل قبل أن يكون

الحزب قد اكتسب نفوذاً حاسماً في الهيئات المتولّدة عن النضال المطلبي ، فإنهم رغم ذلك لا يجعلون من قيادة الهيئات المباشرة شرطاً اولياً للثورة ، فهم يناضلون من أجل البرهان ، في خضمّ النضال ، على أن الحاجة الى التوجه الشيوعي ، وأن الصلة الوثيقة مع الحزب الثوري لا ينجمان عن شرط برنامجي (أوّلي) بل عن اللضرورة التي تحتّم مد الهيئات الطبقية المباشرة بكل فعاليتها في النضال الذي تخوضه ضد الطبقة الرأسمالية .

٤ ـ موقف البروليتاريا من فئات الفلاحين الوسطى :

الرأسمالية هي المركزة ، وبالتالي فهي تستعيض عن الإنتاج الصغير بالانتاج الواسع النطاق لكنها لا تقوى على القيام بذلك الا إذا القت في غياهب البؤس والدمار جماهير واسعة من صغار المنتجين واصحاب الدكاكين والحرفيين والفلاحين بأن تحوّلهم الى بروليتاريا .

غير أن هذه الشرائح الاجتماعية جميعها ، التي هي بقايا من انماط انتاج سابقة ، ليس لديها موقف موحّد ، فهي تتأرجح بتأرجح موازين القوى ، بين البرجوازية والبروليتاريا .

ثم أن ردود فعل البرجوازية الصغيرة التي تتعاطى التجارة في المدن تجاه البؤس ، تكون مصحوبة ، أكثر مما هي في اوساط الفلاحين ، بمواقف رجعيّة مخصوصة تعود الى نمط انتاجها المحدود الأفق ، ليس فقط بموقف سياسي لا هوادة فيه ، بل بأن تتقدم أيضاً ، لصالح هذه الفئات ، بمطالب من شأنها أن تخفف بالفعل من بؤسهم المتولّد عن الأزمات والحروب ، وأن تسعى إذن الى تحييدها .

أما بالنسبة للفلاحين ، فإن بروليتاريا المدن والأرياف ليس عليها أن تدعم في العالم الثالث ، النضال ضد بقايا اشكال الاستغلال القديمة وحسب ، بل عليها أيضاً أن تقدّم دعماً كاملاً لنضال الفلاحين المستغلّين ضد الملكية العقارية الرأسمالية التي تسعى البروليتاريا الى الغائها .

ويحارب الشيوعيون الفكرة القائلة بأن جماهير الفلاحين الفقراء بوسعها أن تحسّن مستقبلها ومصيرها بالنضال من أجل رفع أسعار المنتوجات الزراعية أو من أجل المطالبة بحماية الدولة وبالتحالف من أجل هذه الغاية مع الملاكين العقاريين أو الرأسمال الزراعي إذ أن هذه التدابير تخدم قبل كل شيء هذين المذكورين وتدعّم مواقفهما على حساب الجماهير الفلاحية الفقيرة. وفي نفس الوقت الذي يناضل فيه الشيوعيون ضد الأوهام الرجعيّة التي تحملها هذه الفئات الإجتماعية ، فإنهم يدعمون هيئات الفلاحين الفقراء والذين لا أرض لهم ، في ساحات نضالهم ضد استغلال الملاكين العقاريين ، من أجل الغاء نظام المحاصصة ، وخفض نسبة المؤاكرة وتجديد عقود ضمان الأراضي تجديداً آلياً . وضد نزع الملكية . وكذلك يأخذون على عاتقهم مهام النضال ضد الإستغلال السافر الذي تمارسه التروستات الزراعية الغذائية حتى ولو كانت تتخفّى وراء الستار التعاوني ، وذلك بالتعاون مع بروليتاريا هذه الصناعات .

بإزاء الغاء الطبقات القديمة المرتبطة بالإنتاج الصغير ، تنمّي الرأسمالية فئات وشرائح من الإجراء غير المنتجين الذين تتكاثر اعدادهم بشكل خاص في البلدان الإمبريالية حيث تقع المراكز الحيوية للرأسمالية

العالمية وإدارتها ، وحيث تصل ظاهرات الحياة الطفيلية والانحلال الى اقصى درجاتها .

أن هذه الفئات الوسيطة لا تتخذ شكلاً اجتماعياً واحداً ، فأدناها ، لا سيما النساء المستخدمات في المكاتب والمحلات الكبرى ، تتصل اتصالاً وثيقاً بالبروليتاريا وتشاطرها نوعية معيشتها مشاطرة كاملة فضلاً عن انها تشاطرها ، اكثر فأكثر شروط عملها بعد أن تمّت مكننة المهام وأتمتتها ومن جهة أخرى ، نجد أرفع هذه الفئات أي تلك التي تقوم بمهمة الحراسة للاستغلال الرأسمالي ، وتلك التي تملك نتفاً من المعرفة والثقافة . فهذه الفئات تنجذب نحو البرجوازية وتقلّد عاداتها وتقاليدها تقليداً أعمى .

وبين هذين الفريقين يقع نوع من المزيج الاجتماعي الذي ينجذب أعضاؤه نحو المثل البرجوازية ، لكن الوضع المزري الذي تقذفهم فيه الأزمات يسوقهم نحو البروليتاريا الصرفة فيجاورونها من حيث مواقعهم سواء في المصنع أو في المدرسة أو في الثكنة أو في التجمعات السكنّية . إن هذه الشرائح الوسطى تتصدر المطالب « المابين طبقية » « وبالتالي اكثرها ديمقراطية» بحكم موقعها في المجتمع بين الطبقات الأساسية التي تخشى مواجهتها . وبفضل هذا الموقع الوسيط فهي تطالب بقيادة النضالات من أجل تحقيق هذه المطالب عبر طرح مناهج خادعة من نوع توجيه النداءات لضمير البرجوازية الليبرالي . وهي اذ تقدم للمعركة الغالبية العظمى من قوافل الطلبة فإنها تشيع كل الأوهام حول الثقافة والاعداد المهني .

وهذه الشرائح تجد نفسها ، تحت طائلة البطالة ومحدلة التحديث الرأسمالي ، مدفوعة للدفاع عن الأجر وظروف العمل ، وتساهم بالنضال النقابي حيث تجلب معها روح نمطية المساومة البرجوازية الصغيرة ، وتشكل بانصهارها غالباً بالارستقراطية العمالية ، الجزء الأكبر من الجماعات البيروقراطية المتواطئة في النقابات وفي ما يسمى بالاحزاب العمالية .

وإذا كانت البروليتاريا تأمل في هذا الموضع أيضاً ، تحييد بعض هذه الشرائح ، وجذب جزءاً منها الى معترك النضال ضد الرأسمالية ، فإنها لا تكتفي بطرح مطالب تهم هذه الشرائح وتحميها من وطأة رأس المال ، بل تسعى لمحاربة تطلعاتها الرجعية في كل موقع ومحاربة مزاعمها الديمقراطية وتأرجحها المأساوي عبر اتخاذ مواقف غاية في الصلابة ازاءها .

٥ ـ الدفاع عن شروط نضال الجماهير المستغلة والنضال ضد العنف والقمع البرجوازيين .

إن اللجوء الى التكتيك البرلماني اصبح من مخلفات الماضي ، خاصة في البلدان التي تم فيها انجاز المهام البرجوازية ، وبشكل عام في البلدان حيث لم يعد للانتخابات من مهمة اساسية سوى إخفات النضالات الاجتماعية عبر وهم الخيار الديمقراطي . ففي مثل هذه الظروف يؤدي التكتيك الانتخابي لتشتيت واتلاف طاقات الحزب في عملية تعبئة يقوم الخصم بتحديد ارضيتها ووقتها تماماً .

إن الفائدة من استخدام البرلمانات كمنابر ثورية قد فقدت معناها اكثر فأكثر وهي لا تخفف من ثقل مساوىء هذا التكتيك . بينما يجعل تكتيك مقاطعة البرلمانات ، عكس ذلك ، من الدعاية المعادية للبرلمان كمبدأ شيوعي ثوري أكثر وضوحاً .

إن رفض الشيوعيين المشاركة في البرلمانات وأجهزة البلديات التي لم يبق فيها اثر للاستقلالية المحلية أو الانتخابات الرئاسية لا يعني مطلقاً انهم يستنكفون عن النضال السياسي أو يتخلون عن تقديم مطالب حتى اساسية ضد الدولة الرأسمالية ، بل على العكس تماماً فالشيوعيون إذن يؤيدون الإستيلاء على السلطة عبر تدريب الجماهير العريضة في معترك النضال الثوري فهم يحملون الى قلب النضالات اليومية نفسها التي تخوضها الطبقة العاملة والجماهير الفلاحية الفقيرة مسألة التحقيق والدفاع عن شروط النضال السياسي (أي حرية الاجتماع والتجمع والصحافة والأحزاب الخ . . .) .

والشيوعيون يدافعون عن هذه الحريات في حال وجودها ضد الهجمات التي تكون عرضة لها ، وهم لا يقبلون باخضاعها الى اية شروط قانونية تحد منها ، او باخضاعها (وهذا أسوأ) للرقابة الذاتية من جانب التيارات الانتهازية والديمقراطية . فالحقوق وجدت لكي يؤخذ بها وأن لم تستخدم للنضال المباشر ضد الدولة الرأسمالية فهي تتحول الى شباك تعثر تقدم الطبقة العاملة .

أما حيث تفتقد البروليتاريا الحريات الأولية كما في بلدان الإشتراكية المزيفة أو في معظم بلدان العالم الثالث فإنها تناضل من اجلها دون أن

تلحق مسألة الحصول عليها بتغيير ما في الدستور أو في تطور الدولة الرأسمالية باتجاه اكثر ليبرالية ودون أن تسعى للحصول على دعم من القوى التي لا تطالب بهذه الحقوق الا من أجل استكمال بناء دولة قوية قائمة على الوفاق الطبقي . **فينبغي على البروليتاريا أن تعي تماماً استحالة أن تنتزع هذه الحقوق الا في الصراع ضد الدولة وضد محاولات الديمقراطيين لافراغ الحقوق من كل محتوى .**

يحارب الشيوعيون الثوريون جهود البرجوازية الدائبة في تقوية دولتها البيروقراطية وتعزيز اجهزة قمعها وعدلها وسياستها وكل الشرعية التي تتصدى عبرها للطبقة العاملة وهم فضلاً عن ذلك لا يضعون نصب اعينهم امكانية العودة الى الاشكال الليبرالية القديمة خاصة ان الإصلاحات الديماغوجية التي تقترحها تيارات اليسار الإمبريالي والعمالية المزعومة لا تهدف إلا الى طمس قوة الدولة البرجوازية بطلاء عذب لاجتذاب رضى المستغلين .

والشيوعيون يحاربون بالإضافة الى ذلك تصفيح الدولة الرأسمالية وذلك بوقوفهم على ارضية الضغط الذي تمارسه الطبقة المنظمة ضد هذه الدولة . وهم يستفيدون من مجريات النضال لكي يبرهنوا بأن اتجاه الدولة هذا لا يمكن الإطاحة به الا عن طريق حل ثوري . وهم بحكم ذلك يدعون البروليتاريين الى الاستعداد منذ اليوم لهذا الحل عبر الدفاع عن انفسهم بحرارة ضد عنف الدولة البرجوازية في المصانع والأحياء وذلك دون أن يمنحوا أية ثقة لما يسمى بالضمانات الثانوية التي ليست اكثر من حبر على ورق حتى في البلدان المعروفة بكونها اكثر حرية

وحيث تقوم البرجوازية بتمزيقها دون تردد أمام صعود ثورة البروليتاريا .

ويناضل الشيوعيون لكي ينظموا بالصلة مع النضال الثوري البروليتاري الدفاع الذاتي وحماية الطبقة ومناضليها ومنظماتها ضد العنف شبه الشرعي الذي تمارسه قتلة الميليشيات الخاصة لحساب البرجوازية أو الحراس البيض والمجموعات الفاشية والأخوان المسلمين وغيرهم . كما يناضلون ضد جرائم العنصريين والمذابح المعادية للسامية وضد مشاعل الحقد الديني وكره الاجانب والغزوات المنظمة ضد الشرائح الدنيا الخ . .

ولكنهم فضلاً عن ذلك يناضلون بشكل خاص ضد العنف الشرعي للبرجوازية من قوات الشرطة والدرك واجهزة القمع الخاصة وغيرها من المرتزقة .

ويحارب الشيوعيون العظات المجرمة التي تدعو الى اللجوء للدولة الرأسمالية ضد العنف الغير شرعي . أن مثل هذا المسار لم يكن له في أي من المرات الا نتيجة واحدة هي اعقام النضال البروليتاري أو تسليمه موثوق اليدين للقمع الشرعي .

ينبغي على النضال البروليتاري أن يقدم دعماً فعالاً ودائباً للمناضلين البروليتاريين السجناء او الذين يتعرضون لضربات العدو وذلك بغض النظر عن صحة او فعالية مفاهيمهم السياسية . وعلى النضال البروليتاري ان يساند بشكل عام ضحايا القمع الرأسمالي . إن هذا التضامن يمكن أن يأخذ اشكالاً متعددة مثل الدفاع الحقوقي أو مساندة

عائلات الضحايا أو النضال من اجل كسر طوق العزلة الذي تفرضه البرجوازية على المساجين أو النضال من اجل تخفيف شروط الاعتقال أو لتحرير الأسرى الذين يحتجزهم العدو الطبقي في زنزاناته أو النضال من اجل الغاء كل الأحكام . . الخ .

٦ ـ النضال ضد العسكرة البرجوازية والاعداد لحرب امبريالية :

إن المعركة التي تستهدف التصدي لعملية الاعداد لنزاع امبريالي جديد لا يمكن خوضها فقط على أرضية ايديولوجية حيث يجري تقويض كل التبريرات المخادعة للبرجوازية بل يجب أن تخاض في آن معاً على ارضية الصراع وارضية التنظيم الفوري للطبقة العاملة وذلك على النحو التالي :

أ ـ **بمحاربة السياسة الوطنية الإقتصادية** واحلال الشقاق عمليا بين صفوف البروليتاريا عبر التحضير للسياسة العسكرية من اجل الدفاع الوطني وذلك عبر ابراز الشيوعيين لطبيعة مصالح واهداف الشغيلة المكافحين في العالم بأسره وتأجيج الروح الأممية بين صفوف البروليتاريين .

ب ـ **عبر تنظيم الشبيبة البروليتارية** ، الضحية الأولى للعسكرية البرجوازية وذلك تمشياً مع التقاليد البروليتارية الثورية الرائعة المعادية للتجييش .

ج ـ عبر دعم نضالات الجنود البروليتاريين باقامة صلات وثيقة فيما بين العمال والجنود .

د ـ بالنضال في كل موقع ضد محاولات عسكرة الصناعة والقطاعات المسماة استراتيجية .

هـ ـ بالنضال ضد كل تدخل مسلح يهدف ضمان أمن التزود والطرق البحرية وضد كل المظاهر الاخرى للقرصنة الامبريالية .

٧ ـ النضال ضد الإضطهاد الإمبريالي :

تقوم الإمبريالية بتعميمها اضطهاد الدول الكبرى للدول الاصغر منها ، حتى وأن كانت معلنة كدول مستقلة ، الى زرع الشقاق بين صفوف البروليتاريين . وهذا الانقسام لا يمكن تخطيه الا بتسعير النضال في البلدان المضطهِدة والامم القامعة وذلك بالدرجة الاولى النضال في البلدان الامبريالية ضد كل امتياز قومي وضد فرض التضحيات على الامم الاصغر وضد كل اضطهاد عرقي او قومي او استعماري الخ ـ وضد كل روح التعالي القومي وكل اشتراكية شوفينية وكل اشتراكية عنصرية .

ومن اجل هذه الغاية يرفع الشيوعيون الثوريون الاهداف التالية لحركة طبقة البروليتاريين في البلدان المضطهِدة :

أ ـ **استقلال المستعمرات فوراً ودون شورط** ، حق الانفاصل للاقليا القومية الخاضعة بالعنف لحدود دولة قامعة ، الغاء كل الامتيازات العنصرية القائمة على العرق (كما في افريقيا الجنوبية) او على

الدين (كما في ايرلندا واسرائيل) الخ . .

ب ـ **الانسحاب الفوري الغير مشروط** لقوات بلد البروليتاريين الخاص من البلدان المحتلة أو المضطهَدة ، انسحاب روسيا من افغانستان أو من اوروبا الشرقية وانسحاب الامبرياليين الفرنسيين والانجليز من المانيا أو افريقيا وانسحاب الولايات المتحدة من معظم انحاء العالم عمليا . كذلك على البروليتاريين في هذه البلدان المضطهِدة التنديد بكل المعاهدات والعقود الغير عادلة التي تفرضها دولتهم . بشكل خاص معاهدات التعاون التي تفرضها الامبريالية الفرنسية في افريقيا أو الامبريالية الامريكية في أمريكا اللاتينية وجنوب شرق آسيا أو في الشرق الاقصى .

ج ـ ومن الضروري على حد سواء ان يناضل البروليتاريون في بلدان الهجرة في سبيل **وحدة البروليتاريا العالمية يداً بيد مع اخوتهم المهاجرين ضد الاضطهاد الناجم عن كره الاجانب والعنصرية** وضد كل رقابة على الهجرة ومن اجل المساواة الكاملة في كل الحقوق . هذا الامر الذي يبدو ذو اهمية خاصة في بلدان اوروبا الامبريالية والولايات المتحدة وحتى في استراليا واليابان وكذلك ايضاً في بلدان العالم الثالث مثل الجزيرة العربية وافريقيا الجنوبية أو فنزويلا والبرازيل والارجنتين . . الخ .

إن موقف البروليتاريا هذا في البلدان المضطهِدة يجب أن يترافق في البلدان المضطهَدة وبلدان العمال المهاجرين بدعاية محمومة من اجل الوحدة الاممية للبروليتاريا وتنظيمها من فوق كل الحدود القومية .

وينبغي على الشيوعيين في المستعمرات وشبه المستعمرات أن يبينوا بأن النضال من اجل انسحاب القوات الامبريالية أو من اجل الاستقلال ليس بحد ذاته نهاية المطاف ولكنه وسيلة ثورية لتدمير الامبريالية المضطهِدة . أما في البلدان التي حصدت الغلبة او بالاحرى في البلدان التي نضجت ولكن ما زال بامكان البرجوازية فيها طرح مسألة النضال من اجل التحرر القومي (مثل بلدان اوروبا الشرقية) أو طرح مسألة الوحدة الوطنية (مثل كوريا والمانيا) فإن الشيوعيين يرفضون أن يجعلوا من هذه المطالب اهدافاً للنضال البروليتاري .

٨ ـ النضال من أجل استكمال المهام البرجوازية المتبقية في بلدان العالم الثالث :

لقد أشرفت المرحلة البرجوازية الثورية على نهايتها دون أن تكون البرجوازيات المحلية قادرة على تحقيق وعودها. لهذا السبب فان البرجوازية في نهاية دورتها الثورية تترك للبروليتاريا إرثاً من المهام البرجوازية التي تم إنجازها بجزئها الأهم في بلدان الرأسمالية المتقدمة والأكثر امبريالية ولكنها ما تزال في بلدان آسيا وافريقيا وبعض بلدان أمريكا اللاتينية بمثابة رافعة ثورية.

فالأمر يتعلق بالمسائل التالية ـ فضلاً عن مطالب الحريات السياسية الأولية التي سبق ذكرها ـ :

أ ـ القضاء على بقايا الملكية العقارية القديمة وبقايا الامتيازات الاقطاعية والقبلية والدينية.

ب ـ القضاء على بقايا الرق والعبودية الاستعمارية والامتيازات الامبريالية.

ج ـ النضال ضد كل اضطهاد مبني على أساس اجتماعي أو عرقي أو ديني وضد اضطهاد المرأة بنوع خاص والنضال من أجل المساواة القانونية الكاملة أمام الدولة.

د ـ النضال من أجل فصل الدين عن الدولة ومن أجل فرض التعليم الاجباري على نفقات الدولة ومن أجل الشكل الجمهوري للحكم وضد كل حصر للمساواة السياسية في الدولة.

والواقع أنه لا يمكننا أن نستثني إمكانية أن تقوم البرجوازية نفسها بتقديم هذه المطالب بين لحظة وأخرى وبالتحديد المطالب التي تتعلق بالدولة مثل إقامة الجمهورية أو تحقيق مطلب الحريات السياسية إلا أنها لا تقوم بذلك إلا بعزل هذه المطالب الواحد عن الآخر وبافقادها حدتها الثورية .

والبرجوازية ترى في تحقيق هذه الاصلاحات مجرد وسيلة لخداع البروليتاريا والحصول على دعمها للدولة أو بالأحرى دقرطتها. باقتضاب ان البرجوازية تستخدم هذه الاصلاحات لتعزيز سيطرتها الطبقية. ومهما يكن من أمر أن البروليتاريا سواء كانت هذه المطالب سياسية أو أجتماعية فإنها تجعل منها رافعة لتحررها الثوري ولا تنتظر تحقيقها بالكامل إلا في ديكتاتورية طبقتها الخاصة . وهذه المطالب من الآن فصاعداً تشكل جزءً من البرنامج الفوري للثورة البروليتارية العالمية .

٩ ـ النضال من أجل بعث التضامن البروليتاري الأممي :

إن التضامن الأممي هو رافعة لا بد منها من أجل النضال البروليتاري. إلا أن الستالينية قامت بتشويهها ووضعتها في خدمة الدفاع عن الامبريالية الروسية وقد قامت الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية والشيوعية الوطنية بإجهاض التضامن الأممي إذ وضعت على أرضية متناقضة مسألة النضالات الوطنية المعادية للامبريالية من جانب ومصالح الصراع الطبقي الأممي للبروليتاريا من جانب آخر فضلاً عن أنها في الواقع كانت تخرب هذه النضالات أيضاً في الميتروبولات الامبريالية فقد داست على هذا التضامن الأممي بأقدامها والحقت مختلف تجمعات البروليتاريين في بلد ما بهذه البرجوازية وأدخلتها في حروب القرصنة.

إن استيقاظ الشعور الأممي للطبقة العاملة لا يتم فقط عبر الدعاية لهدف ثورة أممي وعالمي ولكن انطلاقاً من المقتضيات اليومية لنضال البروليتاريا.

وإنطلاقاً من هذه الروحية فان الشيوعيين الثوريين يعلقون أهمية كبرى على المهام التالية:

أ ـ جعل النضالات البروليتارية الكبرى في متناول الجماهير على المستوى العالمي بحيث تتمكن الطبقة العاملة من الاحساس بتشابك مصالحها المشترك.

ب ـ إقامة صلات أممية فيما بين الشغيلة عبر دعم نضالات العمال

المهاجرين وعبر التضامن مع النضالات البروليتارية أو أي نضال آخر موجه ضد النظام الامبريالي القائم في مختلف البلدان كذلك عبر النضال ضد دولية الشرطة والتضامن ضد القمع الرأسمالي في العالم بأسره.

ج ـ النضال في كل بلد ضد الجرائم الامبريالية وضد العسكرة والاعداد للحرب في بلد البروليتاريين الخاص. وهذا النضال هو بمثابة شرط لتجاوز الخلافات الوطنية فيما بين البروليتاريين الواقعين تحت تأثير الدعاية الشوفينية للبرجوازية وإذنابها ومن أجل تحقيق الوحدة الأخوية لبروليتاري سائر القوميات.

فإنطلاقاً من تنظيم هذه المهام الأولية يمكن البدء بتنسيق نشاط البروليتاريين الأممي ويغدو بالامكان التطلع لأهداف أممية أكثر طموحاً.

خاتمة

إن الشيوعيين الثوريين على وعي تام بالصعوبات الهائلة التي تعترض الطبقة العاملة قبل أن تستعيد زمام الأمور على نحو ثوري بعد عشرات السنين من هزيمة الحركة البروليتارية المستقلة وهم على ادراك تام أيضاً بمدى التضحيات التي تنتظر الطبقة العاملة من أجل أن تسلك من جديد طريق مصالحها المشتركة وطريق النضال الثوري الشيوعي.

وهم على دراية بالعقبات التي تنتصب أمام جهودها من أجل استعادة السلاح النظري الماركسي واستقاءه عبر التجارب الماضية فالاشتراكيون المزيفون والشيوعيون المزيفون والديمقراطية البرجوازية الصغيرة والتيارات الدينية تسعى لكبحها والحيلولة دون ذلك.

رغم هذا فان الشيوعيين الثوريين يجدون في هذه الأرض المجدبة البوصلة التي توجه كل جهودهم نحو بناء حزب الغد القادر والمتراص وساعد الثورة البروليتارية الأيمن في معركة انتصارها.

واليوم يؤكد الشيوعيون كما أكدوا في عام ١٨٤٨ أنهم لن يخفضوا جناحهم ويخفوا آرائهم ومشاريعهم بل سيعلنوها على الملأ وهم يؤكدون

جهاراً بأن أهدافهم لن ترى النور إلا عبر الاطاحة العنيفة بالنظام الاجتماعي البائد.

أسترتعد فرائص الطبقات الحاكمة لفكرة ثورة شيوعية؟!.

فليكن ان البروليتاريين لن يخسروا إلا قيودهم... وسيكون أمامهم عالماً يربحونه.

« ملحق »

* مبادىء الشيوعية :

إن المبادىء التي سننوه عنها في ما يلي مقتطفة من «كراسنا» «الموضوعات الأساسية للحزب» والتي وضعت عام ١٩٥١ وهي تستعيد النقاط الأصلية لبرنامج الحزب الشيوعي لايطاليا والتي تبناها خلال مؤتمره التأسيسي في ليفورن في كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٢١.

١ ـ إن تزايد التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج يضطرد دوماً في المجتمع الرأسمالي ويؤدي إلى تناحر في المصالح وإلى صراع طبقي بين البروليتاريا والبرجوازية المسيطرة.

٢ ـ إن علاقات الانتاج الحالية تحميها سلطة الدولة البرجوازية وهذه الدولة تشكل دوماً جهاز الدفاع عن مصالح الطبقة الرأسمالية بغض النظر عن شكل النظام التمثيلي وكيفية استعمال الديمقراطية الانتخابية.

٣ ـ إن سلطة الدولة البرجوازية تحمي علاقات الانتاج الرأسمالية

وتشكل جهاز الدفاع عن مصالح الطبقة الرأسمالية بغض النظر عن شكل النظام التمثيلي وكيفية استعمال الديمقراطية الانتخابية.

٤ ـ إن البروليتاريا لا تستطيع تحطيم وتغيير مصدر استغلالها في نظام علاقات الإنتاج الرأسمالية الا بالإطاحة بالسلطة البرجوازية بالعنف.

٥ ـ إن الحزب الطبقي هو جهاز لا غنى عنه لنضال البروليتاريا الثوري وهو يضم في صفوفه الفريق الأكثر تقدماً وتصميماً من البروليتاريا، ويوحّد جهود جماهير الشغيلة فيقودها من النضال اليومي من أجل مصالح جزئية ذات أهداف محدودة، إلى النضال البروليتاري الشامل. فمهمة الحزب التاريخية هي نشر النظرية الثورية في صفوف الجماهير والعمل على تنظيم الوسائل المادية للنشاط الثوري وقيادة الطبقة العاملة في نضالها المستمر بضمانة الاستمرارية التاريخية والوحدة الأممية للحركة.

٦ ـ بعد الاطاحة بالسلطة الرأسمالية لا تستطيع الطبقة العاملة أن تنظم نفسها كطبقة سائدة إلا بتحطيم جهاز الدولة القديم وإقامة ديكتاتوريتها الخاصة التي تقتضي حرمان البرجوازية من كل حق أو مهمة على الصعيد السياسي طالما بقيت عناصرها على قيد الحياة اجتماعياً، وتأخذ على عاتق الطبقة المنتجة وحدها تأسيس أجهزة النظام الجديد، فالحزب الشيوعي الذي تتمثل خاصيته المنهجية في تحقيق هذا الهدف الأساسي، يمثل وينظم ويقود وحده ديكتاتورية البروليتاريا.

إن الدفاع الضروري عن الدولة البروليتارية ضد جميع الهجمات المضادة للثورة لا يمكن تحقيقه إلا بتجريد البرجوازية والأحزاب المعادية لدكتاتورية البروليتاريا من كل وسائل التحريض والدعاية السياسية وحيازة البروليتاريا على تنظيم مسلح يمكنها من صد كل الهجمات الداخلية والخارجية.

٧ ـ إن قوة الدولة البروليتارية هي القوة الوحيدة القادرة على التدخل بصورة دائمة في علاقات الاقتصاد الاجتماعي لانجاز جميع الاجراءات المتعاقبة التي تضمن استبدال النظام الرأسمالي بالادارة الجماعية للانتاج والتوزيع.

٨ ـ بنتيجة هذا التحول الاقتصادي وبالتالي لكل نشاطات الحياة الاجتماعية ستضمحل ضرورة الدولة السياسية تدريجياً ويتقلص جهازها شيئاً فشيئاً نحو ادارة عقلانية للنشاطات الانسانية.

مكتبة بحث ومراجع الحركة الشيوعية

- بيان الحزب الشيوعي، بروكسل فبراير ١٨٤٨.
- نداء المجلس المركزي للعصبة، لندن ١٨٥٠.
- البيان الافتتاحي وأنظمة الجمعية الأممية للشغيلة. لندن ١٨٦٤، وكما عدله مجلس لاهاي، سبتمبر (أيلول) ١٨٧٢.
- شروحات على هامش برناج حزب العمال الألماني المعروفة باسم «نقد برناج غوتا» كارل ماركس لندن مايو (أيار) ١٨٧٥.
- مقررات حول وسائل وأساليب الدفاع عن الشغيلة ومقررات حول نشاط البروليتاريا السياسي التي أقرها المؤتمر العمالي الأممي الاشتراكي في باريس، يوليو (تموز) ١٨٨٩.
- مشروع قرار لليسار صاغه لينين للمؤتمر الاشتراكي الأممي في زيمرفالد سبتمبر أيلول ١٩١٥.
- مهمات البروليتاريا في ثورتنا (برنامج الحد الأدنى للحزب البلشفي

الذي قدمه لينين غداة ثورة شباط المعروفة باسم موضوعات نيسان، بتروغراد إبريل (نيسان) ١٩١٧.

- برنامج الحد الأدنى للأممية الشيوعية، موضوعات حول الديمقراطية البرجوازية وديكتاتورية البروليتاريا، بيان الأممية لبروليتاريي العالم أجمع، المؤتمر الأول للأممية الشيوعية موسكو، مارس (آذار) ١٩١٩.

- أنظمة الأممية الشيوعية، شروط قبول الأحزاب في الأممية الشيوعية، قرار حول دور الحزب في الثورة البروليتارية، موضوعات حول الحركة النقابية، لجان الفبارك والمصانع، موضوعات وإضافات حول المسألة الوطنية والكولونيالية، موضوعات حول المسألة الزراعية موضوعات حول ظروف تشكيل مجالس عمالية، موضوعات حول الحزب الشيوعي والبرلمانية التي وضعها لينين ومشروع موضوعات حول البرلمانية، قدمها الجناح المستنكف في الحزب الشيوعي الايطالي للمؤتمر الثاني للأممية الشيوعية موسكو يوليو (تموز) ١٩٢٠.

- خطاب زينوفييف وراديك في المؤتمر الأول لشعوب الشرق باكو سبتمبر (أيلول) ١٩٢٠.

- موضوعات التقرير حول تكتيك الحزب الشيوعي في روسيا التي صاغها لينين، موضوعات حول التكتيك، موضوعات حول البنية التنظيمية للأحزاب الشيوعية حول أساليب ومضمون العمل، المؤتمر الثالث للأممية الشيوعية موسكو، يوليو (تموز) ١٩٢١.

- موضوعات حول تكتيك الحزب الشيوعي لايطاليا (أو موضوعات روما) مارس (آذار) ١٩٢٢ ومشروع الموضوعات حول تكتيك الأممية ومشروع برنامج نشاط الحزب الشيوعي لايطاليا المقدم للمؤتمر الرابع للأممية الشيوعية في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٢ ثم في المؤتمر الخامس في يوليو (تموز) ١٩٢٤.

فهرس

صفحة

مقدمة ٣

القسم الاول :

عودة الى شيوعية ماركس ولينين الثورية ٧

اولا :

الرأسمالية تستوجب الثورة الشيوعية ٩

ثانيا :

الطبقة العاملة تملك في ماضيها اسلحة النصر ٣٧

القسم الثاني :

اهداف الثورة الشيوعية العالمية وسبلها ووسائلها ٦١

اولا :

موقف الحزب من الاتجاهات السياسية

الكبرى للامبريالية ٦٣

ثانيا :

مهام الثورة الشيوعية ٨١

ثالثا :

التوجهات الاممية لنشاط الحزب ٩٩

خاتمة ١٢٥

ملحق ١٢٧

مكتبة بحث ومراجع الحركة الشيوعية ١٣١

الحزب الشيوعي الاممي

الشيوعيون
ومسألة الحريات السياسيه

Les communistes et la question de la liberté politique

كراسات الاممي ـ ٢

كراسات الاممي

١

ماهي الاشتراكية ؟
الحزب الشيوعي يتشكل على نفس القواعد في كل البلدان
الحزب الشيوعي هو بالضرورة اممي
مايتميز به حزبنا

الحزب الشيوعي الاممي

اطلب من دار البرنامج الشيوعي (باللغة الفرنسية)

- تونس : الصراع الطبقي ودور الانفتاح الجاري حالياً .
- المسألة النقابية في الجزائر .
- إيران والماركسية (تقييم الانتفاضة ونقد برنامج فدائي الشعب) .

ساندوا الصحافة الأممية
بالتبرع والاشتراك والنقاش

إذا كنت مهتماً بمسائل الشيوعية ونضالها وترغب في نقاش قضايا الطبقة العاملة ، اكتب الينا على العنوان التالي :

20, Rue Jean-Bouton 75012 Paris (France)

إقرأوا مجلة
"البرنامج الشيوعي"

في العدد الاول

- نهاية حقبة البرجوازية الثورية في العالم الثالث .
- الحرب الاهلية في لبنان دروسه ونتائج .

في العدد الثاني

- الماركسية والتخلف
- نقد نظرية الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية .

ملحق مجلة البرنامج الشيوعي باللغة الفارسية

- « عودة الى شيوعية ماركس ولينين الثورية » .

وفيه : - ماذا يريد الحزب الشيوعي الاممي .

- بيان عصبة الشيوعيين ١٨٥٠
- من اجل بناء الحزب .